قافلة الزيت

جمادى الأولى ١٣٨٦
اغسطس - سبتمبر ١٩٦٦



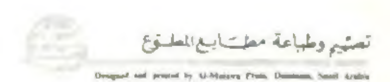
بسم الله الرحمن الرحيم

في هذا العدد

صورة الغلاف

إحدى عربات الرمال التي استحضرتها أرامكو مؤخرا لاستخدامها في أغراض التنقيب .

تصوير : عبد اللطيف يوسف



تصميم وطباعة مطابع المطوع

Designed and printed by Al-Mutawa Press, Dammam, Saudi Arabia

القافلة تسير

عجلة التقدم

كان النقل في كل العصور على جانب كبير من الأهمية في حياة الانسان على سطح الأرض ، ولكن أهميته لم تكن في يوم من الأيام على مثل ما هي عليه اليوم ، فهو بحق العجلة التي تسيّر الصناعة الحديثة وتعمل على تقدّمها وازدهارها .

في الصناعة تستخدم وسائل النقل الحديثة لنقل المواد الخام من مصادر عدة الى أماكن التصنيع . ومن ثم ، بعد أن يتم الانتاج ، يستخدم النقل ثانية لحمله الى الأسواق القريبة والبعيدة . واذا أخذنا صناعة الزيت مثلا على هذا نرى أن مبالغ كبيرة من المال تستثمر في مرافق نقل الزيت الخام من آبار الانتاج الى معامل فرز الغاز من الزيت ومن ثم الى معامل التكرير . وفي المملكة العربية السعودية تستخدم أميـال من الأنابيب الفولاذية ذات الأقطار المتعددة وعدد من محطات الضخ للقيام بهذه المهمة . وبعد هذه المرحلة يأتي دور الناقلات والصهاريج التي تقوم بدورها بنقل الزيت الخام ومنتجاته الى الأسواق العالمية والمحلية .

وقد أدرك رجال الزيت قبل أن يضعوا أقدامهم على أرض الجزيرة العربية صعوبة التنقليات عبر المسافات الصحراوية الشاسعة ناهيك عن نقل المعدات الثقيلة التي لا يستغنى عنها في عمليات التنقيب والحفر ومد الأنابيب . وكان لا بد للانسان أن يصنع المعدات الثقيلة المزودة بعجلات خاصة للسير في الأراضي الصعبة والرمال العميقة ، لتتمكن صناعة الزيت الحيوية من السير بخطى تتناسب وسرعة التقدم في ميادين الصناعة الأخرى التي تعتمد دون استثناء على منتجات الزيت . واذا أخذنا النقل بمعناه المطلق يمكن أن نضيف أن الطاقة لا قيمة لها الا اذا تمكنا من نقلها من محطات التوليد الى المستهلكين ، وان المنتجات الزراعية كذلك لا يستفاد منها بشكل مناسب الا متى نقلناها من المزارع الى الأسواق ..

أما من ناحية علاقته بحياة البشر ، فقد قربت وسائل النقل الحديثة المسافات الشاسعة بين مختلف بقاع العالم ، وما كان يعد في الماضي مسيرة أربعة وعشرين يوما على القوافل أصبح الآن على بعد أربع ساعات بالسيارة وأربعين دقيقة بالطائرة النفاثة . ولا حاجة بنا هنا الى مقارنة هذه الأرقام بما ستؤدي اليه وسائل السفر المقبلة كالطائرة التي تفوق سرعة الصوت والصاروخ .

وبعد ان كان النقل يعتمد اعتمادا كليا على الطاقة البشرية والحيوانية ثم على البخار أصبح الآن يعتمـد على الطاقة المختزنة في المـواد الايدروكربونية ، أي الزيت والغاز الطبيعي ، أو على الطاقة الذرية التي بدأ استخدامها على نطاق ضيق في القطع البحرية ، كما أصبح يعتمد على زيوت التشحيم المستمدة من الزيت والتي بدونها لا يمكن للآلة ، أي آلة ، أن تسير بشكل فعّال .

وهكذا نرى أن النقل كان دائما من أهم ضروريات الحياة على سطح الأرض ، وان الانسان عمل جاهدا لتطويره وتذليل الصعاب التي تعترض سبيله . ولعل هناك من يقول ان تقدم الانسان بدأ فعلا بعد أن تعلّم كيف يستخدم العجلة .. عجلة التقدم .

فؤاد الريس

قافلة الزيت

العدد الخامس — المجلد الرابع عشر

تصدر شهريا عن : شركة الزيت العربية الأمريكية لموظفي الشركة - توزع مجانا

مديرها ورئيس تحريرها — سيف الدين عاشور

المحرر المساعد — فؤاد الريس

العنوان : صندوق رقم ١٣٨٩ - الظهران ، المملكة العربية السعودية

الأفق الكريم من آفاق التكافل في الاسلام

بقلم الأستاذ محمد صلاح الدين
مدير تحرير صحيفة المدينة

كان غريبا دون شك ، أن يكون (الكتاب) هو معجزة النبي الأمي محمد صلى الله عليه وسلم الى قومه الأميين ! ! ، وأن تكون أول آية تتنزل عليهم من وحي السماء هي آية القراءة والعلم والقلم : (اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم) . صدق الله العظيم .

لقد كانت هذه المفارقة الضخمة ، ارهاصا ربانيا بأن الجنس البشري قد بلغ رشده ، وإيذانا بأن التاريخ الانساني قد دخل ببعثة هذا النبي الأمي ، عصرا فريدا هو عصر العقل والعلم .

كذلك كانت هذه المفارقة — دون شك — تأكيدا للدور العظيم الذي سيضطلع به اتباع هذا النبي في ارساء قواعد الحضارة الانسانية ، واعلاء شأن التقدم البشري ، وتفجير قدرات العقل والعلم .

ولم يكتف الاسلام بذلك ، بل أعلى القرآن والسنة من قدر العلم والعلماء ، في المجتمع الاسلامي ، حتى جعل (مداد العلماء أثمن من دماء الشهداء) . وانك لتقرأ في موسوعات الشريعة الغراء تفصيلا عجيبا لفريضة العلم على كل مسلم ومسلمة ، والحد الذي تؤدي به فريضة التعلم ، ثم مسؤولية الدولة وواجباتها بهذا الشأن ..

ولم يكن كل ذلك في دين الله من باب الحث والموعظة ، بل كان فريضة يقف من ورائها سلطان الدولة ونفوذ الحكم . ويرغب المسلمين جميعا فيها ، ما بشر الله به أهل العلم من ثواب عظيم ومكان كريم ،حتى شهدت البشرية طوال عدة قرون صرحا شامخا من الحضارة أفاء الله بها على العالم كله .

يقول (فيليب حتي) في كتابه (تاريخ العرب المختصر) : « خلال القسم الأول من القرون الوسطى لم يساهم أي شعب من شعوب الأرض بقدر ما ساهم العرب في التقدم البشري ، فقد ظلت هذه اللغة لعدة قرون لغة العلوم والآداب والتقدم الفكري في جميع أنحاء العالم المتمدن آنذاك باستثناء الشرق الأقصى ، وفيما بين القرنين التاسع والثاني عشر فاق ما كتب بالعربية عن الفلسفة والطب والتاريخ والالهيات والفلك والجغرافيا كل ما كتب بأي لسان آخر » .

ويقول جوستاف لوبون في كتابه (حضارة العرب) : « في الوقت الذي كانت فيه أوربا غارقة في أظلم عصور الهمجية كانت بغداد وقرطبة ، مركزي الحضارة البشرية ، تشعان على العالم كله بوهج العلوم والفنون » .

ويقول جاك ريزلر في كتابه (الحضارة العربية) : « لمدة خمسة قرون سيطر الاسلام على العالم بقوته وبعلومه وبحضارته المتفوقة ، وكوريث لكنوز العلوم والفلسفة الاغريقية ، نقل الاسلام هذه الكنوز بعد أن أغناها بالفكر الاسلامي الى أوربا الغربية ، وكان ان وسع الاسلام آفاق الفكر الأوربي في القرون الوسطى ، وترك ملامحه العميقة على الحياة والفكر الأوربيين » .

ويقول المستشرق المعروف جب في كتابه (الاتجاهات الحديثة في الاسلام) : « استطاع العلماء المسلمون أن يطوروا النهج العلمي الى أبعد مما ذهب اليه أسلافهم في الاسكندرية أو اليونان ، واليهم يرجع الفضل في استخدام أو اعادة النهج العلمي الى أوربا في العصور الوسطى » .

وكتب سيسموندي يقول : (ان مدرسة بغداد لم تسهم في بعث أوربا فحسب ، بل أثارت الفكر في آسيا أيضا) .

وقال سانكيز البروتر : (ان أحدا لا يستطيع اليوم أن يتكلم عن العصور الوسطى المظلمة ، بل يجب على المرء ألا ينسى انه بينما كانت أوربا في ذلك الحين تنحدر في وهدة البؤس وتستسلم لبراثن الانحلال ، كانت الحضارة الاسلامية تزدهر وتنتشر في اسبانيا) .

ولو ذهبت استقصي للقارىء الكريم ، نصوص الكتاب والسنة ووقائع التاريخ وشهادات العلماء والمستشرقين ، لضاق الوقت وقصر الجهد .

° ° °

واذا كانت بعض القوانين في العصر الحديث ، قد فرضت على المواطن العلم ، وأناطت بالدولة واجب التعليم ، الأمر الذي قرره الاسلام منذ ثلاثة عشر قرنا ، فان جميع قوانين العصر ، رغم كل ما بلغته الانسانية من حضارة وتقدم ، لم تصل بعد الى هذا الأفق الكريم من آفاق التكافل الثقافي الذي ينفرد به هذا الدين العظيم ..

البقية على صفحة (٣٤)

تيسير اللغة وتيسير التراث

بقلم الاستاذ محمود الشرقاوي

عند عهد ليس ببعيد كان الأدب العربي ، تراث الآباء والأجداد ، يتمتع في مجتمعنا بحياة وافرة ناضرة . كان ملء الأفواه والأسماع وسحر المجالس ولهو المنتديات ، وكان الأنيس في الوحدة والسمير في الخلوة والأخ الوفي عند الجفوة ، وقلما كنت تتصفح صحيفة يومية الا وجدت فيها نهرا أو أنهارا فياضة بالنقد الأدبي اللغوي أو الموضوعي أو بحديث طريف في يوم الأربعاء «١» أو غير يوم الأربعاء عن حياة أديب وعلمه وفنه . وكان الناس جميعا مشغولين بــه مفتونين بمحاسنه عاكفين عليه لا يبغون عنه حولا ولا يرتضون به بديلا .

ولكن الحال قد تغيرت في السنوات الأخيرة ، فخلت الصحف والمجلات من الحديث عن الأدب القديم ، ولم يعد سحر المجالس ونزهة الخواطر ونجي النفوس والأرواح كما كان من قبل . ولما طالت الجفوة وبعد العهد استغلقت معانيه وبدا كألغاز وأحاجي لا يدرك معناها ولا يعرف كنهها . ولست بحاجة الى أن أنبه على خطورة هذه الحالة فانها في الواقع محنة ثقافية كبرى تهدد الأدب القديم بالاختفاء من حياتنا الاجتماعية جملة وتفصيلا ، بل تنذر بزواله وانقراضه ان لم نتداركه بالعناية الواجبة . «٢»

هذه صيحة من الصيحات الأخيرة التي تنذر وتحذر مما يوشك أن يقع باللغة العربية وثقافتها لو بقيت الأمور تسير كما هي الآن . وقد أطلقت هذه الصيحة في مجمع موقر « مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، الدورة الثلاثين ١٩٦٣ — ١٩٦٤ » يتصف أعضاؤه ومنهجه بالرزانة والحيطة ، وهي مع ذلك ، كما نرى ، قوية قوة تلفت النظر .

والأمثلة التي تحضرني الآن ، مؤيدة هــذه الصيحة ، كثيرة بارزة قوية الدلالة . فقد حدثني أستاذ جامعي بأن طالبا في جامعته كتب رسالة في التاريخ الاسلامي فذكر أن الخليفة أبا بكر الصديق أرسل عمر بن الخطاب لفتح الأندلس..! والطالب — كما عرفنا — يدرس التاريخ الاسلامي ليصبح متخصصا فيه ..!

كما حدثني أستاذ في جامعة أخرى بأن جامعته أهدت الى متخرج في احدى كلياتها الأدبية كتاب الكامل للمبرد — وهو كما نعرف من عمد الأدب العربي — وخرج الطالب فعرج على مكتبة في طريقه وباعها الكتاب قبل أن يصل الى بيته ..! مع أنه سيبدأ حياته العلمية معلما للغة العربية وأدبها .

وقد استمعت يوما الى برنامج ثقافي من اذاعة عربية وكان المتحدث يقرأ بحثا عن البحتري لصديقنا الدكتور زكي المحاسني . وفي هذا البحث أبيات مــن قصيدة البحتري السينية الرائعة في وصف ايوان كسرى ، وهي قصيدة لا يجهلها أي أديب أو متأدب ، وفي هذه القصيدة هذا البيت :

والمنايـــا مواثــل وأنوشروان
يزجي الصفوف تحت الدرفس«٣»

ولكن المتحدث الذي يلقي كلمة الدكتور المحاسني في هذا البرنامج الثقافي أخطأ فــي قراءتها ..! ولم نعرف طبعا معناها ، فوق أن المذيع كسر وزن الشعر كسرة لا سلامة منها ..!

والتيسير في اللغة العربية — لتخفيف هــذه الحالة — واستجابة لمثل هذه النذر — جرت فيه محاولات كثيرة مستمرة منذ ما يقرب من قرن ، عندما بدأت طلائع النهضة اللغوية والأدبية في شرقنا العربي في لبنان ومصر معا .

من هذه المحاولات ذات القيمة وضع واشتقاق المصطلحات العلمية العربية التي تمكن الباحث من البيان عما يريد في هذه العلوم بألفاظ عربية مواتية دقيقة . وهي سبيل للتيسير واغناء اللغة جاهد فيها علماء كبار في مدى يقرب من مائة عام، من أمثال الدكتور فانديك«٤» والـــدكتور صروف والأمير مصطفى الشهابي واسماعيل مظهر وسلامــة موسى وأحمد شرف وغيرهم . وأصدر في ألفاظها مجمع اللغة العربية بالقاهرة خمسة مجلدات ، كما نشر « المجمع العلمي العربي » في دمشق مباحث ذات قيمة فيها ضمنها مجلته .

ومن محاولات التيسير ما أدرك ضرورته الباحثون والأدباء قبل أكثر من سبعين سنة ، مثل الحديث عن كتابة « الألف اللينة » ، للمرحوم الشيخ محمد المهدي الذي نشر في العدد الثاني من السنة الأولى « لصحيفة دار العلوم » سنة ١٩٠٩ . وظل حديث هذا التيسير والكتابة يشغل علماء اللغة ومجامعها الى اليوم ، مما يدل على الاحساس المبكر بحاجة اللغة الى التيسير واشتغال العلماء الدائب في البحث عن وسائل هذا التيسير على أهل عصرنا كتابا وقراء .

ومن محاولات التيسير الدعوة الى استعمــال الكلمات المولدة وادراجها في القواميس اللغوية

«١» يقصد الكاتب المقالات التي كان يكتبها الدكتور طه حسين لجريدة « السياسة » في ثلاثينيات القرن . وقد جمعت بعد ذلك في كتاب يحمل الاسم نفسه : « حديث الأربعاء » . «٢» احياء تراثنا الأدبي : الأستاذ ابراهيم عبد المجيد اللبان « البحوث والمحاضرات » ، مؤتمر الدورة الثلاثين لمجمع اللغة العربية بالقاهرة : ١٩٦٣ — ١٩٦٤ . «٣» العلم فارسي معرب . «٤» كرنيليوس فانديك ، من أصل هولاندي ، ولد في ولاية نيويورك وعاش فيها حتى اختاره مجمع المرسلين الأمريكان مرسلا وطبيبا في سوريا ، عاش فيها وفي بيروت ، ولد سنة ١٨١٨ ومات سنة ١٨٩٥ .

ومن هذه المحاولات « تفصيح » اللهجات العامية أو تصحيحها اذا كان لها أصل عربي . ومن ذلك الاقتراح الذي تقدم به قبل سنوات المرحوم الأستاذ أحمد أمين الى مجمع اللغة العربية في القاهرة بوجوب استبعاد الكلمات « الحوشية » الغريبة من المعاجم تمهيدا لاعدامها كما قال . ولكن لم يوافق المجمع على ذلك . ومن محاولات التيسير اقتراح استبعاد المترادفات التي لا حاجة لها في اللغة ، وجواز التذكير والتأنيث في الكلمات الخالية من علامة التأنيث . ومحاولات التيسير ، أو « التجديد » في الشعر – بالخروج على القافية وايجاد أوزان جديدة – محاولات معروفة . بل ان هذه الرغبة في التيسير التصقت بها في كثير من الأوقات بعض النزعات المندفعة المتسرعة ، مثل الحديث عن العامية – وهي نزعات لا نقرها – ولكن الحديث عنها كان ذا صدى في المجامع اللغوية جعل الدكتور « سليمان حزين » وزير الثقافة المصري يذكره في كلمته لافتتاح مؤتمر مجمع اللغة العربية الأخير : « ١٩٦٦ » طالبا أن يولي المجمع اهتماما خاصا بالتقريب بين الفصحى والعامية في نطاق أغراضه الأساسية وهي المحافظة على سلامة الفصحى .

وقد استطاعت المجامع اللغوية ، على ما نعرف لها من الحرص والتريث ، أن تطلق لغتنا العربية من كثير من القيود ، فقال مجمع القاهرة (... بالتضمين والنقل والمجاز والتعريب ، وأجاز الاشتقاق من أسماء الجواهر والأعيان ، كما أجاز النسبة الى جمع التكسير وتوسع في المصدر الصناعي ، وأقر صيغا للدلالة على الحرفة والمرض والصوت . وفتح ، في اختصار ، باب الاجتهاد في اللغة – وكان موصدا من قبل – ولم يقنع بأن يسجل ما أقره الأدباء والعلماء ، بل شاء أن يوجه نحو تطوير اللغة والنهوض بها . وكان لتوجيهه أثره ، وتبارى الكتاب في التجديد والابتكار . والواقع أن مستحدثات الحضارة والعلم لا تنقطع ، ولا حياة للغة الا ان واجهتها ، وعرفت كيف تؤديها على وجهها .«٥»

° ° °

ونحن نشهد في السنوات الأخيرة بخاصة نشاطا كبيرا في احياء التراث العربي : تحقيقه ونشر مخطوطاته وطبع ما نفدت طبعاته ، في دمشق وبغداد والقاهرة وغيرها ، حتى نجد من العسير أن نستوعب أسماء ما حقق منها وما طبع .

وهذا النشاط ، بلا شك ، عمل مثمر كبير القيمة في خدمة تراثنا العربي على يد الخاصة من الكتاب والمثقفين والباحثين .

ولكن بقي غير الخاصة من عشاق هذا التراث والراغبين في معرفته ومطالعته ، وهم الأكثرون ، الذين يجب أن نعينهم و « نوسع قاعدتهم » كما يقولون . وحبذا لو نستطيع أن نجعل كل عربي وعربية من جميع الأسنان وبخاصة الشباب ، من هؤلاء الراغبين في مطالعة تراثنا العربي .

هذه الكثرة من الراغبين ، وقد أدركنا من الأمثلة التي ذكرناها وأشرنا اليها أول هذا المقال مدى بعدهم عن هذا التراث وحاجتهم لمعرفته ، هذه الكثرة أعتقد أن من الخير ، بل من الواجب ، أن نيسر لهم مطالعة كتب التراث هذه عن طريق ما نستطيع أن نسميه « الترجمة من العربية الى العربية » .

أعني أن يقرأ لهم ويدرس باحث متخصص له جلد على مطالعتها ومقدرة على فهمها ، ثم يعرضها بأسلوب عصري مفهوم لقراء العربية اليوم ، فأسلوب هذه الكتب من تراثنا يتميز بمصطلحات خاصة وأسلوب خاص أصبح من أشق الأمور على القارىء العربي المتوسط الثقافة – بل ربما من هو فوق ذلك – أن يفهم هذه المصطلحات ويستسيغ هذا الأسلوب أو يصبر عليه . وأعرف كثيرين من « المثقفين » يريدون أن يقرأوا مقامات الحريري مثلا أو كتاب الأغاني فلا يستطيعون أن يصبروا على أسلوبه ومنهجه ومصطلحاته .

وقد جرت من قبل محاولات في هذه الترجمة من العربية الى العربية : من ذلك كتاب « قصص من الأغاني » الذي وضعه الأستاذ ابراهيم جلال وطبع في القاهرة قبل سنوات ، فقد ترجم فيه سبع قصص من تلك التي رواها أبو الفرج الأصفهاني في كتابه « الأغاني » منها قصة جميل مع بثينة ، وعروة بن حزام مع عفراء وقيس مع لبنى ، وسلامة القس ومحمد بن صالح العلوي ، وأضاف اليها طائفة من الطرائف والأشعار التي نجدها في كتب الأدب القديم . وكتب ذلك كله بأسلوب عصري يستسيغه القارىء المعاصر ويقبل عليه .

ونستطيع أن نضع في هذا الباب دراسات أحمد أمين الاسلامية : « ضحى الاسلام » و « فجر الاسلام » وغيرها ، ودراسات الدكتور محمد حسين هيكل الاسلامية أيضا : « حياة محمد » و « في منزل الوحي » وغيرها ، وعبقريات العقاد وكثيرا من مؤلفات الدكتور طه حسين مثل : « على هامش السيرة » ، و « الفتنة الكبرى » و « في الأدب الجاهلي » ، و « حديث الأربعاء » ، و « مع المتنبي » وغيرها ، لو أن هذه الكتب كلها ليست « ترجمات » لكتب خاصة بل لعصر أو فرد « مترجمة » من كتب مختلفة من كتب التراث .

وقبل سنوات أصدر الدكتور طه حسين كتابه « صوت أبي العلاء » الذي ترجم فيه طائفة من شعر أبي العلاء من أسلوب المعري الى نثر طه حسين .

وقال الدكتور طه في تبرير هذه الترجمة وضرورتها هذه السطور : (... وسينكر قوم هذه الترجمة لأنها لون جديد من ألوان الأدب العربي الحديث . أليس غريبا أن نترجم الى العربية شعرا هو من صميم العربية..؟ بلى ! ليس ذلك غريبا ، وانما الغريب ألا نترجم هذا الشعر . فما دامت الثقافة تتسع وتنتشر ، وما دام جمهور المثقفين يعظم ويضخم من يوم الى يوم ، فلا بد من أن نقرب اليهم أدبنا القديم ، ونزينه في قلوبهم ، ونصله بأذواقهم ، فليس كل الناس قادرا على قراءة اللزوميات ، والفصول والغايات ، ورسالة الغفران ، وفهمها . ومع ذلك فيجب أن يعرف المثقفون جميعا هذه الآثار وغيرها معرفة حسنة ، والا انقطعت الصلة بين الحديث والقديم ، وأصبح مكان الأدب العربي القديم من المثقفين المعاصرين مكان الأدب اللاتيني من الفرنسيين والايطاليين . والله يعصم الأدب العربي القديم من أن تقطع الصلة بينه وبين الأجيال العربية الى آخر الدهر) .

° ° °

وهذا النوع من التيسير الثقافي بعد التيسير اللغوي أدركت ضرورته وفائدته بعد طبع كتابي : « دراسات في تاريخ الجبرتي : مصر في القرن الثامن عشر » الذي « ترجمت » فيه كتاب الجبرتي الشامل الى لغة عربية عصرية ، فقد أيقنت أنه سد فراغا كبيرا وجعل كثيرين جدا يعرفون تاريخ الجبرتي هذا ويعرفون ما لم يكونوا يعرفون من تاريخ مصر والشام ورجالهما في تلك السنوات التي سجل أحداثها . وقد طبع الكتاب مرتين في سنتين متعاقبتين .

«٥» من بحث ألقاه الدكتور ابراهيم مدكور الأمين العام للمجمع اللغوي بالقاهرة في : « مؤتمر الأدب العربي المعاصر » الذي عقد في روما ١٦ – ٢٠ أكتوبر ، تشرين الأول ١٩٦١ » ونشر في الجزء (١٥) من مجلة المجمع (١٩٦٢) .



سمو الأمير عبد المحسن بن جلوي يقدم الكؤوس للفرق المتفوقة .

كم من مرة رأيناه ، يقطع الفيافي والقفار ، ويتسلق الجبال الشم ، ويعاني أشد ضروب المشقة ليصل الى بقعة من الأرض تروقه وتوافق هواه فيقضي فيها ليلة أو ليلتين في العراء ، مفترشا الثرى وملتحفا السماء . وكم من مرة رأيناه في سرواله القصير مشمرا عن ذراعيه ، ومتمنطقا بحبل وسكين وحاملا على ظهره عتاده ، وسائرا في طريقه بخطى ثابتة غير مبال بحر ولا قر ، كأن الله قد وهبه ما لم يهبه للآخرين . وكم من مرة رأيناه يعيش عيشة الزهاد المتقشفين ، فلا يأكل من الطعام الا أخشنه ، وكأن في الخروج الى الطبيعة ومساكنة حيواناتها وتقليد أصواتها وحركاتها عزلة ومتعة . وكم من مرة رأيناه في الحج يساعد الضعيف ويشارك في مهمة الهلال الأحمر وغير ذلك من الأعمال التي تكشف عن نفس خيرة وغاية سامية مجدية . هذا هو الكشاف . فما هي الحركة الكشفية ، وما هو الغرض الذي قامت من أجله ؟

الكشفية على حد تعريف اللورد بادن باول مؤسسها ، في كتابه « دليل القائد » ، هي لعبة رياضية يستطيع بواسطتها الكبار من الفتيان والفتيات أن يهيئوا لاخوانهم وأخواتهم الصغار وسطا صحيا ممتازا يدربونهم فيه على ممارسة الألعاب المفيدة التي تبلور شخصيتهم . الكشفية تعنى بالفرد لتكسبه المزايا الفكرية والجسدية والاخلاقية .

والأهداف التي تسعى الكشفية الى تحقيقها هي :

١ — جعل الفرد مواطنا عاملا سعيدا .
٢ — حمله على العمل في سبيل المجموع .
٣ — تقوية المجموع عن طريق الروابط الأخوية .
٤ — التوسل بهذه الروابط الى خلق ارادة عالمية تهدف الى توطيد السلام الدائم في العالم .

فإذا ما نظرنا في الأمور التي تعنى بها الحركة الكشفية بالنسبة للفرد وجدنا انها لم تخرج عن كونها مبادىء وواجبات اجتماعية يحبذها كل مجتمع ويسعى المربون الى تحقيقها . وهذه المبادىء التربوية هي ترسيخ الايمان في النفوس وتثبيت العقيدة ، والحفاظ على الفرد في صحة جيدة ، والتعليم المهني ، وخدمة الغير . علاوة على ذلك ، تنمي في الطفل الثقة بالنفس ، والاحساس بالشرف ، وحب الجمال ، والذكاء ، وحب الحياة ، والمهارة ، واقتفاء الأثر ، والطموح والشعور بالمسؤولية وغيرها من الفضائل . وهذه لعمري من أهم صفات المواطن الصالح .

تاريخ الحركة الكشفية

روبرت بادن باول ملازم صغير في الجيش البريطاني أرسل الى غابات أفريقية الجنوبية وأسندت اليه مهمة تدريب الجنود البريطانيين الجدد على اقتفاء الأثر ، والمطاردة وحياة الغابات الخشنة . فتبين له أثناء ذلك أن معظم رجاله كانوا قد اعتادوا حياة الترف والمدنية ، وليس بوسعهم تحمل الحياة القاسية الجديدة . وأخذ بادن باول يتأمل سالف أيامه وذكريات صباه ، وكيف كان يقتفي آثار الحيوانات البرية المختلفة كالدببة والنمور ، وكيف كان يصطاد الجاموس والفيل ووحيد القرن في جنوبي افريقية والسودان . من خلال ذكرياته وتجاربه الخاصة أعد لجنوده سلسلة من التمارين والألعاب الرياضية التي من شأنها أن تجعل منهم رجالا أقوياء الأبدان ، يوثق بهم ويعتمد عليهم ، ويستطيعون العيش بسهولة في تلك الغابات الوعرة المسالك . وأعجبت هذه الألعاب والتمارين الجنود واتقنوها بسرعة ومتعة ، ونقلوا فكرتها الى انكلترا فانتشرت بين الصبيان كالنار في الهشيم وأخذوا يمارسونها في ألعابهم وتمارينهم .

ولما عاد بادن باول الى انكلترا ، أراد تطوير فكرته هذه الى تمرين جماعي يفيد الشبان ، فقام بدراسة شاملة لكل ما يتعلق بموضوعه ، ثم وضع برنامجا خاصا عمل على تطبيقه في عام ١٩٠٧م ، عندما اختار فريقا مؤلفا من عشرين شابا وذهب به الى جزيرة « برونسي » حيث أقام مخيما كشفيا كان هو الأول من نوعه في العالم . وفي عام ١٩٠٨م نشر بادن باول كتابه الأول عن الكشفية باسم « الكشفية للفتيان » .

وما لبثت فكرة الكشفية ان انتقلت من انكلترا الى البلدان المجاورة فالى جميع بلدان العالم المتقدم . فقد انتقلت الى أمريكا في عام ١٩١٠م والى البلدان العربية في عام ١٩١٨م ، أي بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، والى المملكة العربية السعودية في عام ١٩٦١ (١٣٨١هـ) .

المخيمات الكشفية

لا يمنح الكشاف أي شارة من شارات التقدم الكشفي ما لم يكن قد أمضى مدة معينة في المخيم يعتاد فيها على المعيشة الخلوية التي تعتبر من أهم الأسس التي تقوم عليها حركة الكشف . وقد عني الناس بها منذ أقدم العصور ولا سيما العرب ، فكانت من أهم الوسائل الفعالة في تربية أبنائهم وتنشئتهم تنشئة قوية سليمة . ومما عرف عن العرب القدامى أنهم كانوا يرسلون صغارهم الى مكان ما في البادية حيث يقيمون مدة من الزمن يعتادون خلالها على حياة البر ويتعلمون النطق الصحيح ، ويتدربون على أعمال البطولة والفروسية وغيرها . فالرسول صلى الله عليه وسلم قضى فترة من طفولته في البادية .



الشيخ عبد العزيز التركي رئيس المـ[...] الكشفي الاقليمي بالمنطقة ، ومدير التعليم ، [...] كلمة يثني فيها على نشاط كشافة المنطقة و[...] استعدادهم .

كذلك عرف عن قبائل « الترولو » في افريقيا أنهم كانوا اذا ما كبر طفلهم ، جردوه من ثيابه وطلوا جسمه بطلاء أبيض يبقى أثره حوالي شهر ، ثم تركوه يعيش في الغابة يؤمن غـــذاءه ويدفع عن نفسه الاعداء ، حتى يزول عنه الطلاء ، فاذا ما أمضى الوقت المضروب عاد الى القبيلة وانضم اليها واستقبل بالهتاف والزغاريـــد .

هذه الأمثلة وغيرها تبين ما لحياة الخلاء من أثر في تربية الفتى تربية استقلالية تمكنه من الدفاع عن نفسه ، وتعوده على تحمل المشاق والتكيف حسب الظروف المعيشية التي تتوفر له . من خلال تجارب الأقدمين هذه وغيرها تبين للورد بادن باول أهمية المعسكرات الكشفية ، فعمل عـــلى جعلها معهدا يكسب الفتى صلابة ، ويعوده على حياة الخشونة ، ويدربه على تخطي العقبات وتحمل الصعاب والطاعة والنظام ومغالبة الشدائد والتعاون لصالح المجموع . كل ذلك يحرص على أن يتم في جو من المرح واللعب المفيد .

متى يصبح الصبي كشافا

لا يعتبر الصبي كشافا ويسمح لـــه بارتداء ملابس الكشاف وشاراتها الا بعد أن يعد الوعد الكشفي في حفل قبول يعد لذلك . ولا يقدم الى حفل القبول الا بعد أن يلم بتاريخ الحركة الكشفية وتكون لديه معلومات عامة عن قانون الكشـــاف ، والتحية الكشفية . كذلك عليه معرفة بعض قواعد الصحة العامة مثل تنظيف الجراح وتضميدها ، ومعرفة علامات الكشـــاف السرية ، واجادة العقد الكشفية . فمتى تجمعت لدى الكشاف هذه المعلومـــات استطاع أن يقف أمام رؤسائه شامـــخ الرأس ويأخذ على نفسه الوعد الكشفي . والوعد الذي يأخذه على نفسه الكشـــاف السعودي هـو : أعد بأن أبذل جهدي لكي أقوم بما يجب عليّ نحو :

١ — الله ثم الملك والوطن .
٢ — أن أساعد الناس في جميع الظروف .
٣ — أن أعمل بقانون الكشاف .

وما قانون الكشاف الذي يعمل بـه سوى دعوة لإتيان العمل الصالح وتجنب الباطل ، والعمـــل بمقتضى الديـــن ، والتمسك بالفضائل ، وهذا نصه :

١ — شرف الكشاف يوثق بـــه ويعتمد عليه .
٢ — الكشاف مخلص لمليكه وأولياء أمره ووطنـــه ورؤسائـــه ومرؤوسيه .
٣ — الكشاف نافـــع ويساعـــد الآخرين .
٤ — الكشاف صديـــق للجميع وأخ لكل كشاف .
٥ — الكشاف مهذب .
٦ — الكشاف محب للحيوان .
٧ — الكشاف مطيع لأوليائـــه ورؤسائه دون تردد .
٨ — الكشـــاف يبســـم ويهزأ بالصعاب .
٩ — الكشاف مقتصد .
١٠ — الكشاف طاهر الفكر والقول والعمل .

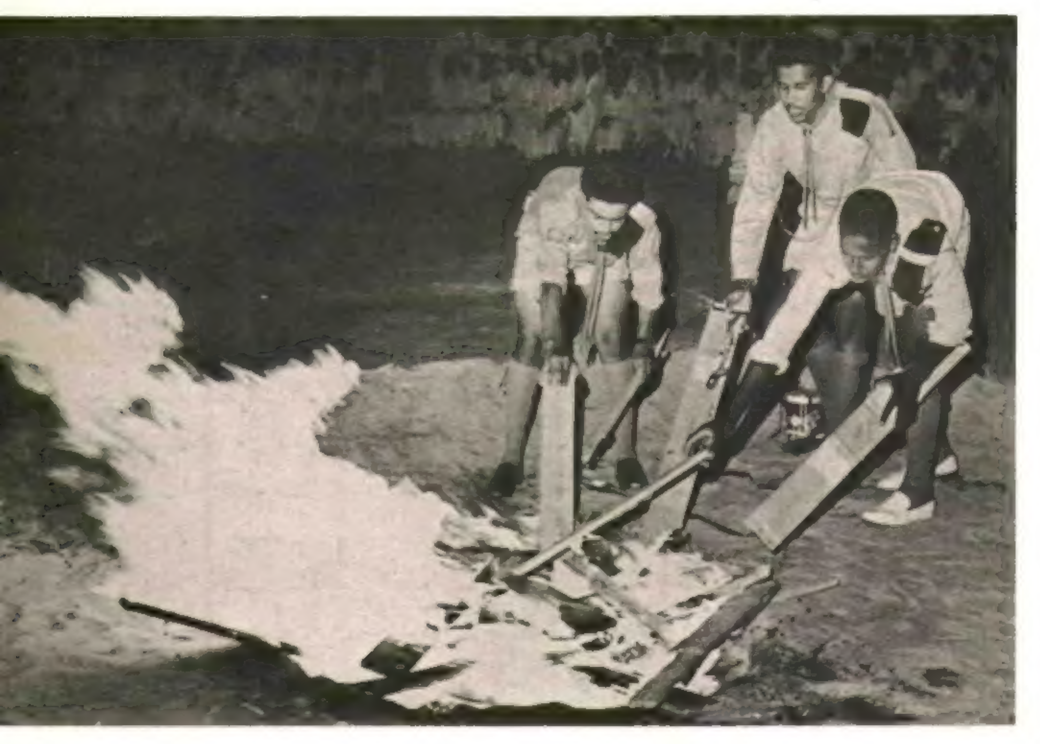
جمعية الكشاف السعودي وفروعها

تبنت الدولة فكرة الكشفية وعملت على نشرها بين الشبان في ثوب اجتماعي وطني رائدها في ذلك الخلق العربي الاسلامي القويم . هكذا برزت الى الوجود جمعية الكشاف السعودي التي تـم تأسيسها بموجب المرسوم الملكي رقم ٢٢ الصادر بتاريـــخ

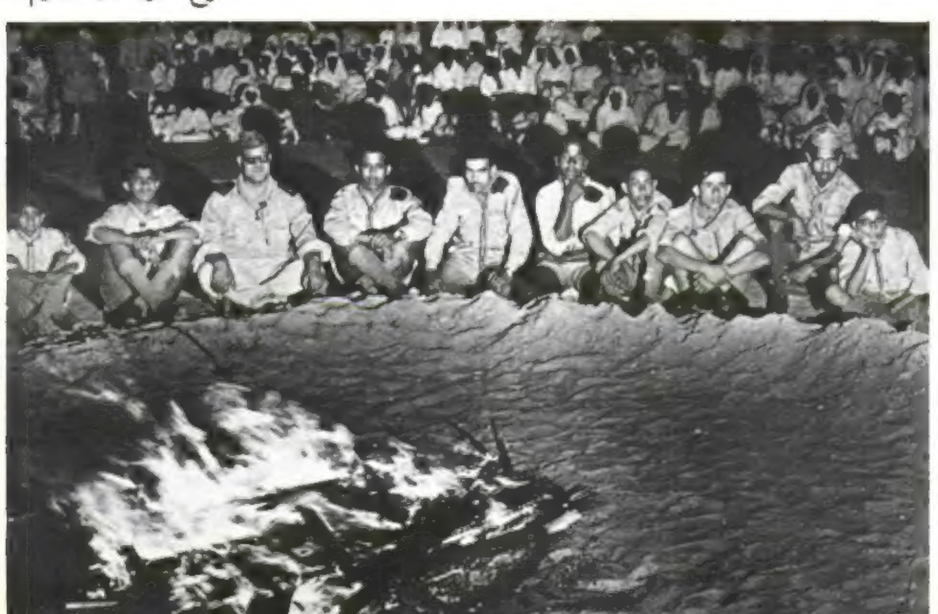


حملة الأعلام تتقدم الفرق الكشفية أثناء الاستعراض .

يوقدون نار المخيم إيذانا ببدء حفلة السمر .



المرح حول نار المخيم .





٩–٤–١٣٨١هـ . وقد نصت المادة الأولى من هـذا المرسوم على اعتبار « جمعية الكشاف السعودي » المؤسسة الوحيـدة المسؤولة عن حركة الكشف في البلاد .

تتألف « جمعية الكشاف السعودي » من تسعة أعضاء ، ستة منهم يختارهم وزير المعارف ، رئيس الجمعية ، مـن بين موظفي الدولة البارزين ، بينما الثلاثة الباقون ، يختارهم ويرشحهم مدير عـام رعاية الشباب (السكرتير العام للجمعية) ، من بين العاملين في حقل الحركة الكشفية ويجري اعتمادهم من قبل وزير المعارف . مدة العضوية في الجمعية أربع سنوات ، ويـتم التعيين بموجب قـرار من وزير المعارف .

ويتبع جمعية الكشاف السعودي ، مكاتب اقليمية موزعة على جميع مناطق المملكة . ويتألف كل مكتب من هذه المكاتب من خمسة أعضاء ، يختارهم السكرتير العام للجمعية ويجري تعيينهم بقرار من وزير المعارف . وهؤلاء الأعضـاء متطوعون تطوعا ولا يتقاضون رواتب لقاء أعمالهم .

ومهمة المكتب الاقليمي التابع للجمعية الاشراف على جميع فرق الكشافة الموجودة في المنطقة ، متعاونا في ذلك مع مكتب رعايـة الشباب ، كذلك عليـه تنفيذ السياسة العامة للجمعية ، واعتماد الفرق وتسجيلها .

رعاية الشباب

في كل منطقة من مناطق المملكة مكتب لرعاية الشباب يتبع اداريا لمكتب الادارة العامة لرعاية الشباب في وزارة المعارف . وهذا المكتب مسؤول عن الاشراف المباشر على جميع طلاب مدارس المنطقة ، فيما يتعلق بالتربية الرياضية ، والتربية الاجتماعية ، والتربية الفنية ، والتربية الموسيقية ، والتربية الكشفية . وللتربية الكشفية في مكتب رعاية الشباب الاقليمي ، مفتش كشافـة ، ومساعد ، ومشرف مراكز تدريب . ومهمة هؤلاء جميعـا تنفيـذ مقررات جمعية الكشاف التي تصل اليهم عن طريق مكتب جمعية الكشافة وادارة التربية الكشفية بوزارة المعارف ، وكذلك اقامة المعسكرات الكشفية والاشراف عليهـا ، وتنظيم الدورات والمهرجانات الكشفية ، واختيار البعثات الخارجية ، واختيار الكشافة الذين سيناط بهم شرف خدمة الحج ، وتنظيم الدراسات الكشفية .

النشاط الكشفي في المنطقة الشرقية

لا نستطيع في هذا المجال أن نلم بتوسع بالنشاط الكشفي في المملكة لذلك سنتحدث عن المنطقة الشرقية كمثال مصغر لهـذا النشاط .

في المنطقة الشرقية ثلاثـة أنواع من الوحدات الكشفية هي : المجموعات وعددها ٢٠ مجموعة ، والفرق الكشفية وعددها ٥٤ فرقة ، وزمر الأشبال « الجراميز » وعددها ٢٣ زمرة . فالمجموعة هي التي تضم فرقة كشافة وزمرة أشبال ، بينما الفرق الكشفية هي التي تضم كشافين فقط ، وزمرة الأشبال هي التي تحتوي على أشبال فقط .

يعد مكتب رعاية الشباب لهذه الوحدات الكشفية على اختلافها دروسا تدريبية يقدمها لهم مشرف مراكز التدريب ، في مركز التدريب في الدمام . ومن يثبت تقدمـه وجدارته في التدريب ويجتاز الامتحـان بنجاح في الدروس الكشفية ، يمنح في ذلك شارة تبين مدى تقدمه الكشفي . والدرجات التي يمنحها المركز هـي : للكشافة ، درجة المبتدىء ، والدرجة الثانية ، ودرجة متقدم مبتدىء . وللأشبال : درجة شبل ناعم الظفر ، وشبل نجم أول ، وشبل نجمين .

أما النشاط الكشفي خلال عام ١٣٨٥هـ ، خارج مركز التدريب فيمكن تلخيصـه فيما يلي :

١ — أقيمت خلال العطل الاسبوعية معسكرات لتدريب عرفاء الطلائع ونوابهم ، استمرت مدة ثمانية أسابيع واشترك فيها حوالي ١٢٠ كشافا و ٤٠ شبلا ، وذلك تحت اشراف مشرف مراكـز التدريب الكشفية .

٢ — ساهمت كشافة المنطقة الشرقية في الخدمة العامة بالحج بثلاثين كشافا .

٣ — مثلت كشافة المنطقة الشرقيـة المملكة في معسكر قطر خلال عطلة عيد الفطر المنصرم .

٤ — نظمت مسابقات كشفية بـين جميع فرق الكشافة وزمر الأشبال ، كما أقيمت حفلات سمر ليلية خلال شهر رمضان المبارك .

وقبل أن أنهي كلمتي هذه أود أن أذكـر أن كشافة المنطقة الشرقية أقاموا على ملعب وزارة المعارف في الدمام في الخامس عشر من شهر محرم المنصرم حفلة سمر ليلية حضرها لفيف كبير من الجمهور واحتوت على الكثير من الأناشيد والهتافات والألعاب المسلية والتمثيليات الفكاهية . وقد دامت هـذه الحفلة حتى ساعة متأخرة من الليـل ، وغادرها المشاهدون والغبطة بادية عـلى وجوههم ولسان حالهم يردد :

هُـوْ هُـوْ هُـوْ
الكشاف مستعد طائعُ
حافـظ للوعـد ..

عصام العماد



أشبال اليوم وجنود المستقبل يسيرون في صفوف منتظمة على وقع أنغام الموسيقى .



نشيد كشفي يقدمه لفيف من الجراميز على نغم «الأوكرديون» .

جراميز مدرسة بقيق ، في مشهد من مشاهد مرح الأشبال .

تصوير : سعيد الغامدي

هل الانسان مخلوق «غير منطقي» ؟

بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

منذ قديم الزمان والناس يقولون أن « الانسان مخلوق ناطق » . وليس « النطق » في العربية مجرد التلفظ أو التكلم أو التعبير ، بل هو التعقل أو التفهم أو التفكير . وحينما وضع أرسطو منطقه العتيد ، فانه سلّم ضمنا بأن الانسان « منطقي » بطبعه ، وافترض منذ البداية أن الموجود البشري هو الكائن الوحيد الذي ينشد الحقيقة ، ويحاول تجنب أسباب الخطأ ، ويسعى دائما في سبيل تمييز صحيح الفكر من فاسده ... الخ . وليس من شك في اننا لو نظرنا الى الكثير من مبادىء علم المنطق ، لوجدنا انها من السهولة بحيث قد لا يخطىء فيها انسان ، أو قد لا يختلف عليها اثنان ! ومن هنا فقد يبدو لنا — أول وهلة — انه لا حاجة بنا أصلا الى « علم المنطق » ، ما دامت القواعد المنطقية حقائق بسيطة واضحة بذاتها ! ولكننا لو عدنا الى الواقع البشري ، لتحققنا من أن الناس أبعد ما يكونون عن التزام قواعد المنطق في مناقشاتهم ، ومعاملاتهم ، وأنظمتهم ، وشتى مظاهر سلوكهم . وحسبنا أن نلقي نظرة فاحصة على أساليب الناس في التفكير ، والجدل ، والتعامل ، والصراع ، لكي نتحقق من أنهم قلما يطبقون في حياتهم الفكرية والعملية تلك المبادىء المنطقية التي يسلّمون جميعا بصحتها في مجال النظر العقلي المجرّد ! ولعلّ هذا ما حدا ببعض الباحثين الى القول بأن ثمة منطقا آخر يحكم حياة البشر ، ألا وهو منطق الوجدان ، والتبرير الجدلي ، والمصالح الخاصة ... وعلى الرغم مما قاله أحد الفلاسفة من أن « العقل هو الذي يحكم العالم » فان الواقع شاهد — مع الأسف — بأن عالم الانسان حافل بشتى مظاهر الخطأ المنطقي . وقد نظن أن الأخطاء المنطقية وقف على الأطفال أو البدائيين ، ولكننا لو استبعدنا تلك الأخطاء الناجمة عن سذاجة العقلية أو عن التعليل الخرافي للظواهر ، لوجدنا أن مجتمعاتنا الراهنة نفسها زاخرة بالأخطاء والمغالطات وشتى أساليب السفسطة ! ولئن كنا نجد في مجتمعاتنا من يحرص على التزام قواعد المنطق ، كالعالم ، ورجل القانون ، والمشرّع ، والفقيه ، والفيلسوف ، وغيرهم الا أننا لا نكاد نلمس أثرا لهذه القواعد لدى الغالبية العظمى من أفراد المجتمع ، في المحاكم ، والمحافل ، والندوات الأدبية ، والهيئات السياسية ... الخ . وقد ذهب بعض المؤرخين الى حدّ أبعد من ذلك ، فقالوا انه « ربما كان في الامكان تدوين تاريخ الفكر البشري كله ، في عبارات الكبرياء المجروحة ، والخصومات المذهبية العنيفة . وآية ذلك أن الكثير من المذاهب الفلسفية والمصنفات الجدلية لم توضع في الأصل الا لمواجهة بعض الخصومات الأدبية ، أو لتبرير بعض المصالح الخاصة ، فكان من الطبيعي أن تجيء استدلالاتها حافلة بالمغالطات ، زاخرة بالسفسطات » !

أننا لو ضربنا صفحا عن هذه « المغالطات » المقصودة ، لوجدنا أن الانسان معرّض لارتكاب الكثير من « الأخطاء » المنطقية ، والسبب في ذلك أن « الدقة » المنطقية خصيصة نادرة لدى الانسان بحكم تكوينه العقلي نفسه . ومن هنا فان انزلاق الفكر الى الخطأ ظاهرة طبيعية ، أما لنقص المقدمات التي يستند اليها ، أو لفساد الفروض التي ينطلق منها ، أو لغموض الحدود اللفظية التي يستعين بها . ولما كان الفكر وثيق الاتصال باللغة فان الكثير من الأخطاء المنطقية التي يتردّى فيها الانسان ان هي الا نتيجة لالتباس الألفاظ أو غموضها أو عدم دقتها . والمنطق حين يهتم بالألفاظ والحدود والقضايا والتعاريف فانه يرمي من وراء هذا كله الى معاونة الفكر على تلافي عيوب اللغة ، والتزام الدقة في التعبير . ثم لم يلبث المناطقة ان تحققوا من استحالة تحرير اللغة من شتى مظاهر الغموض والالتباس ، فآثروا اصطناع بعض الرموز الرياضية ، بدلا من الحدود اللفظية ، وكان من ذلك ان ظهر منطق جديد هو ما اصطلحنا على تسميته باسم « المنطق الرمزي » أو « الرياضي » .

واننا لنعلم جميعا انه اذا كانت ٢ + ٣ = ٥ ، فان من المؤكد أيضا أن : ٥ = ٢ + ٣ . ولكن المسألة ليست بهذه السهولة في نظر الطفل الصغير : فاننا لو وجّهنا الى طفل صغير لم يتجاوز الخامسة من عمره مثل هذا السؤال : « هل لك أخ ؟ » ، وكان له بالفعل أخ ، لما وجد الطفل أدنى صعوبة في أن يجيب على سؤالنا بقوله : « نعم ، ان لي أخا يدعى زيد » . ولكننا لو عدنا فوجهنا اليه سؤالا آخر ، كأن

نقول له مثلا : « وهل لزيد أخ ؟ » ، لكان جواب الطفل في هذه الحالة بالسلب ! والطفل هنا يرتكب « خطأ منطقيا » واضحا ، لأن عقله الصغير عاجز عن القيام بعملية «التحويل المنطقي» التي تضع فيها حدّا مكان حدّ آخر ، كما هو الحال في معظم العمليات الرياضية بوجه عام .

ولنفرض الآن اننا سألنا شخصا بالغا عن رأيه في صحة القضية التالية : « ان كل عدد (س) اما أن يكون اكبر من ١٠٠ أو أصغر منها » ... لا شك انه سيبادر الى الاجابة عن سؤالنا بقوله : « ان هذه القضية صحيحة ، ما في ذلك ريب » ! ولكنه لو تريّث قليلا ، لتبيّن له بكل وضوح أن هذه القضية لا تصدق على جميع الأعداد : فان العدد ١٠٠ نفسه ليس أكبر من ١٠٠ ولا أصغر منها ! تبعا لذلك فان القضية القائلة بأن « كل من ليس معي فهو عليّ » ليست قضية صحيحة من الناحية المنطقية : اذ قد يوجد شخص « غير مكترث » (Indifferent) يستحيل علينا أن نضعه في قائمة « المؤيدين » أو في قائمة « المعارضين » . ولا شك في ان الصلة بين «التأييد» و « المعارضة » ليست صلة « تناقض » — بالمعنى المنطقي الدقيق لهذا اللفظ — بل هي مجرد علاقة « تضادّ » . ونحن نعرف في المنطق أن المتناقضين لا يصدقان معا ولا يكذبان معا ، في حين أن المتضادّين لا يصدقان معا ، وقد يكذبان ... ونحن نميل في حياتنا العادية الى حصر الاحتمالات في « أطراف ثنائية » فنتحدث عن النور والظلام ، والحرارة والبرودة ، والضرورة والصدفة ، والفردية والجماعية ، والحرية والحتمية ... الخ . وكل هذه الثنائيات العديدة هي التي تحملنا على الظن بأن الشيء الواحد اما أن يكون «أ» أو «ب» (أبيض أو أسود مثلا) ، وفقا لقانون « الثالث المرفوع » (Law of Excluded Third) . ولكننا هنا نتناسى أن هذا القانون ينصب على « التناقض » لا على « التضاد » ، فنميل الى الظن بأن الشيء اذا لم يكن دافئا فهو بالضرورة بارد ، في حين أنه قد لا يكون هذا ولا ذاك ... والحق أن قانون « الثالث المرفوع » لا يقرر أن الشيء اما أن يكون «أ» أو «ب» ، بل هو يقرر أن الشيء اما أن يكون «أ» أو «لا — أ» . ومعنى هذا أنه ليس ثمة وسط بين النقيضين : لأن الشيء الملوّن مثلا اما أن يكون أحمر أو «لا أحمر» ، ولا ثالث لهذين الاحتمالين . وتبعا لذلك فانه لا يمكن أن يجاب عن الشيء الا بنعم أو لا : كالحجر اما أن يكون « صلبا » أو « لا صلبا » ، والذهب اما أن يكون « أصفر » أو « لا أصفر » ، والخط اما أن يكون «مستقيما» أو «لا مستقيما»... الخ . ولما كان قانون « الثالث المرفوع » انما ينصب على التقابل القائم بين « النقيضين » (صلب ولا صلب) ، لا التقابل الموجود بين « الضدين » (صلب ورخو) ، فانه ليس ثمة وسط بين النقيضين ، في حين انه قد يكون هناك وسط بين الضدين . وقد لا يكون الماء باردا ولا ساخنا (كان يكون فاترا مثلا) ، ولكن لا يمكن للماء أن يكون الا « دافئا » أو « لا دافىء » . وفي كلمة « لا دافىء » تدخل كل الأحوال التي قد يكون فيها الماء باردا أو فاترا أو متوسط الحرارة .. الخ .

ولكن ، لنفرض مثلا انني حدثتك عن المواطن «س» الذي أعرف اسمه وأعلم عنه أنه يقطن مدينة طوكيو (مثلا) ، ولنفرض أيضا أنني قلت لك : « ان ابن هذا الشخص اما أن يكون على علم باللغة اليابانية ، واما أن يكون على غير علم بها » . فهل يكون قولي هذا شاملا للاحتمالات المنطقية كافة ؟ أليس من الجائز الا يكون لهذا الشخص «ابن» أصلا ؟ واذن أفلا ينبغي لنا — حينما نكون بازاء عملية حصر شامل لشتى الاحتمالات الممكنة — أن نعمد الى استقصاء شتى الأطراف المحتملة ، حتى لا نفاجأ بظهور « طرف » جديد لم نعمل له حسابا ؟

لقد روى لنا أحد المناطقة المحدثين الافتراض التالي : ان شعبا من الشعوب المتعصّبة التي تبغض الأجانب أصدر يوما القانون التالي : « كل غريب يضبط فوق أرض الوطن يحال فورا الى المحاكمة ، ويطلب اليه النطق بأية عبارة تقبل التحقق في ظرف أربع وعشرين ساعة ، فان كانت العبارة صادقة ، حكم على هذا الغريب بالاعدام رميا بالرصاص ، وان كانت كاذبة ، حكم عليه بالاعدام شنقا » ! وظل القضاء يأخذ مجراه الطبيعي الى أن ظهر يوما غريب ذكيّ نطق بالعبارة التالية : « انكم سوف تعدمونني شنقا » ! وحار رجال القضاء في أمر هذا الرجل : اذ لم يعد في وسعهم أن يعدموه ، لا رميا بالرصاص ولا شنقا ! وذلك لأنه لو كانت عبارته صحيحة ، لوجب اعدامه رميا بالرصاص ، ولو كانت كاذبة لوجب اعدامه شنقا ، وفي الحالة الأولى لن تكون عبارته صحيحة ، وفي الحالة الثانية لن تكون كاذبة ، مما أدى في النهاية الى استحالة تنفيذ حكم الاعدام فيه .

ولعل من هذا القبيل أيضا ما رواه لنا مؤرخو الفلسفة اليونانية عن السفسطائي اليوناني المعروف « بروتاغوراس » (Protagoras) في القرن الخامس قبل الميلاد من أنه اتفق مع تلميذه «أفالطوس» (Evalte) على تعليمه البيان ، بشرط أن يدفع له تلميذه نفقات تعليمه بعد أن يكون قد كسب قضيته الأولى . ولكن بروتاغوراس ظلّ ينتظر أمدا طويلا ، دون أن يدفع له أفالطوس شيئا : فقد أحجم التلميذ عن الترافع في أية قضية ! وضاق المعلم ذرعا بالتلميذ المتباطىء ، فأنذره برفع قضية ضده لمطالبته بدفع نفقات تعليمه . ولكن أفالطوس لم يحفل بهذا التهديد ، بل راح يقول : « انني لا أعبأ بهذا الوعيد ، ولسوف أترافع عن نفسي أمام القضاء : فان ربحت القضية ، لم يكن لبروتاغوراس الحق في مطالبتي بالدفع بحكم القانون ، وان خسرتها لم يكن لبروتاغوراس أيضا الحق في مطالبتي بشيء ، بحكم الاتفاق المبرم بيننا » ! وعلم بروتاغوراس بهذا الادعاء ، فما كان منه سوى أن ردّ على تلميذه بقوله : « بل العكس هو الصحيح : لأنك اذا كسبت القضية ، فسيكون عليك أن تدفع أجري بحكم الاتفاق المبرم بيننا ، وأما اذا خسرتها ، فسيكون عليك أيضا أن تدفع الأجر ، تنفيذا لحكم العدالة » !

ولم يجانب كل من بروتاغوراس وأفالطوس الصواب : فان كلاّ منهما كان على حقّ في رأيه ، وانما نشأ الاشكال المنطقي من أن الاتفاق المبرم بينهما لم يكن « اتفاقا منطقيا سليما » ،

لأنه لم يدخل في اعتباره الاحتمالات الممكنة كافة . والحق أنه ليس يكفي لكي يكون التفكير منطقيا أن يتجنّب صاحبه الخطأ ويلتزم الصواب ، وانما لا بد له أيضا من أن يحذر اثارة المسائل الزائفة ، وان يتجنب الوقوع في المشكلات الوهمية . وتاريخ المنطق حافل بالمغالطات المنطقية التي كان الأصل في ظهورها هو تردّي المفكرين في بعض « الأشكالات الزائفة » نتيجة لاستنادهم الى بعض الافتراضات الفاسدة .

وهناك قصة أخرى طريفة تروى عن قبطان مولع بالنظافة أصدر أوامره الى رجال السفينة بضرورة حلق ذقونهم كل يوم . وأمر القبطان ضابط السفينة بأن يقدم له يوميا قائمتين شاملتين تتضمن الأولى منهما أسماء البحارة الذين يحلقون ذقونهم هم بأنفسهم ، وتتضمن الثانية منهما أسماء البحارة الذين يحلقون ذقونهم بمعرفة « حلاق السفينة » . ولم يلبث القبطان ان لاحظ زيادة عدد الأسماء الواردة في القائمتين عن عدد بحارته، اذ تبين له أن اسم حلاق السفينة قد ورد في القائمتين : فان حلاق السفينة كان يحلق ذقنه هو بنفسه ، ولذا فقد دخل اسمه في القائمة الأولى ، ولكنه أيضا كان يحلق ذقنه بمعرفة حلاق السفينة ، وبالتالي فقد دخل اسمه في القائمة الثانية ! والملاحظ في هذا المثال أن الخطأ المنطقي ناشىء من عدم التزام الدقة في تحديد أفراد كل قائمة ، مما أدى الى حدوث « تداخل » بين القائمتين . ولو كانت الفئتان المنطقيتان محددتين تحديدا منطقيا دقيقا ، لكانت كل منهما خارجة تماما عن الأخرى . ولما نشأ بينهما — بالتالي — أي « تداخل » .

على أن هناك أخطاء منطقية عديدة يستطيع المنطق الصوري التقليدي أن يعيننا على اجتنابها . ومن ذلك مثلا أن يقول شخص ان « كل الفنانين مرهفو الوجدان » ، فيتصدى للرد عليه أحد الخصوم زاعما أنه لو صحت هذه القضية لكانت النساء جميعا فنانات ، نظرا لأن المرأة بطبيعتها مرهفة الحس مشتعلة الوجدان ! ولكنّ هذا الردّ — في نظر أهل المنطق — لا يعدو أن يكون مجرد مغالطة أو سفسطة ، لأنه اذا كان « كل الفنانين عاطفيين » ، فان العكس ليس صحيحا ، بمعنى انه لا يمكن القول بأن « كل العاطفيين فنانون » ، اذ عكس القضية الكلية الموجبة — كما هو معلوم في المنطق الارسططالي — انما هو القضية الجزئية الموجبة : (بعض العاطفيين فنانون) .

وعجيب أن الكثير من أهل المنطق الصوري لم يفطنوا الى امكان حل بعض الاشكالات المنطقية المشهورة بالالتجاء الى مبدأ « التقابل » الارسططالي المعروف . ولعلّ من هذا القبيل مثلا ما روي عن الشاعر الكريتي ابيمينِدس (Epimenide) من أنه قال : « ان كل أهل كريت كذابون » . فجاء المناطقة وقالوا انه بما أن ابيميندس هو نفسه من كريت ، فهو اذن كاذب ، وبالتالي فان « كل أهل كريت صادقون » ! ولما كان هو نفسه من كريت ، فهو اذن صادق ... الخ . وظل الناس يتناقلون هذا « الاستدلال المنطقي الفاسد » ، دون أن يخطر على بالهم يوما أن عكس القضية القائلة بأن « كل أهل كريت كذابون » ليس هو « كل أهل كريت صادقون » ، بل هو : « بعض أهل كريت ليسوا كذابين » ! وذلك لأن عكس القضية الكلية الموجبة — في منطق أرسطو — انما هو القضية الجزئية السالبة !

ومن طريف ما يروى في باب المغالطات المنطقية ان لصا قدّم للمحاكمة أمام القاضي ، وكان الدليل الوحيد الذي أثير ضده شهادة رجلين رأياه متلبسا بالجريمة ، فقال المتهم للقاضي ، مدافعا عن نفسه : « انني أستطيع أن أقدم ثلاثين شاهدا لم يروني متلبّسا بالسرقة » ! وفات هذا المتهم أن المسألة ليست مسألة مواجهة عددية ، بل هي مسألة شهادة عينية ، فالواحد الذي رآه يسرق أهم في نظر القاضي من ألف لم يروه وهو يسرق ! ومن هذا القبيل أيضا ما روي عن متهم آخر وقف يوما يدافع عن نفسه أمام القاضي فقال : « انني ألتمس البراءة ، فقد وقعت تحت تأثير ميول وراثية خبيثة أسقطت عني كل مسؤولية » ! وهنا ردّ عليه القاضي بقوله : « وأنا أيضا ألتمس المعذرة اذا أدنتك ، فانني لا أملك سوى أن أحكم بما لديّ من قوانين موروثة » !

وهناك مغالطات منطقية أخرى عديدة يدرسها الباحثون في باب « القياس » . وكلها مغالطات ناشئة عن استعمال الحد الأوسط في القياس بمعنيين مختلفين . ولعلّ من هذا القبيل القياس المشهور : —

« كل ما هو نادر غالي الثمن »

وبما أن « الحصان الرخيص نادر »

اذن « فالحصان الرخيص غالي الثمن » !

ففي هذا القياس استعملت كلمة « نادر » بمعنيين ، فاستعملت في المقدمة الأولى بمعنى التفرّد والامتياز ، واستعملت في المقدمة الثانية بمعنيين القلة وعدم التوافر . وثمة مغالطة مماثلة في القياس القائل : —

بأن « ركوب الخيل يجلب الانشراح »

وبما أن « هذا الجندي راكب حصانا »

اذن « فهذا الجندي منشرح » .

وواضح من هذا القياس أن المقصود بركوب الخيل في المقدمة الأولى هو رياضة الفروسية ، في حين أن ركوب الخيل في المقدمة الثانية واجب عسكري قد لا ينطوي على أي احساس بالمتعة أو اللذة !

ولسنا نريد أن نسهب في شرح الكثير من الأمثلة على ما قد يقع فيه الرجل العادي من أخطاء منطقية ، وانما حسبنا أن نقول أن الانسان هو المخلوق الوحيد الذي يفكر ، ويستدلّ ، ويقيس ، ويستنتج ، ويستقرىء ، فليس بدعا أن يكون أيضا هو المخلوق الوحيد الذي يخطىء ويصيب ، ويعرف التفكير المنطقي والتفكير غير المنطقي ! ... فهل نقول — مع بعض الباحثين — بأن الانسان مخلوق غير منطقي ؟ هل نستنتج من كل هذه الأغاليط والمغالطات التي طالما تردّى فيها المفكرون في كل زمان ومكان أن الموجود البشري هو الكائن الوحيد الذي يعرف كيف يستخدم العقل للدفاع عن الباطل ؟ أم نقول بأن القدرة على الخطأ هي نفسها مظهر من مظاهر التفكير ، وكأن الخطأ يريد أن يحاكي الصواب ، أو كأن الباطل نفسه يريد أن يلبس لباس الحق ؟... يبدو لنا أن الكلمة الأخيرة في قصة الانسان لا يمكن أن تكون للخطأ ، أو الباطل ، أو اللامعقول ، وانما سيظل الخطأ دائما هو الضريبة الفادحة التي تدفعها الانسانية للحصول على الحقيقة !



للشاعر محمد احمد العزب

كان يسمعني أقول الشعر – فيبتسم لي وكأنه يحيا معنى مـا أقول .
فـترجـمـت أحـاسيـسـه فـي هـذه السطور !!!



رويدك انـي أريـد الحديث اليـك ولكـنـني أبكـم
تفـجـر حسي .. وتلهب نفسي .. ويصعد بـي صوتك الملهم
وتـزرع عـبر ليـالي الجـراح ابتسامـات فجـر به أحلم
وتوقظ مـن عالمـي أغنيات يعذبـني لحنـهـا المضرم

* * *

يعذبـني أن يعيش صراخـي هناك خلف قـلاع الضياع
وأن يولـد الهمس فـوق لسانـي ويغرب مثل انطفاء الشعاع
وان أعشق الصوت .. حـتى الخريـر المحطم تحت انسراب الشراع
وحتى أنـين الرعـود .. وحتى عويـل الدياجر عـبر التلاع

* * *

تـوشج مـا بيـنـنـا وتـراءت عـلى أفـق مخملي رؤانا ..
وصوب نهار مـن الحب ضاح .. جميل .. جميل .. تهادت خطانا
وعبر فجاج مـن النور نشوى بفجر ابتسام تـلاقـت يـدانـا
وفـوق الكلام .. وفـوق البيان .. تـحـدث فـي ثقـة خافقانـا

* * *

أتعجب ؟ انـي أحـب توثب روحك عـبر فضاء المـدى
وأرنـو اليـك وفـي شفتيّ نشيد بليـد مهيـض الصـدى
أحب .. وأعشق .. لكـنـني أبعـثر كل لحونـي سـدى
اذا صمت النـاي مـات الغنـاء .. أو انهـزم الفجر ضاع الندى

* * *

يفعم صدري .. ولكن لي لسـانـا يـمـوت عليـهالكـلام ...
ويحسبني الناس ، حين أثرثـر ، أسطورة مـن عهود الظلام
ولـو يبصرون .. لألفوا هنالك فـي داخلي عالمـا من سلام
ودنيـا معان تضيء وجودي .. وتنتشـر فـي أفقـي الابتسام

* * *

رويدك ان شئت بـي رحمة .. ففـي شفـتـي حديث وثـير
يجـرح قلبي أن انطوى عليـه وراء ضبـاب المصـير ..
وأن يـارج الزهـر رغـم الذبـول .. ويلقي عليك نـداء العبير
وأن تسمـع الهمس فـي كل شيء . سوى شفـتـي ولساني الضرير

* * *

ويـرمضـني – حين أنطق – انـي أرى حيرة في وجـوه الجموع
وكـم مـرة كنت أشدو فقالـوا : جريح تعشق ليـل الدمـوع
وكـم مـرة كنت أبكي فقالـوا : فتى حالـم هائـم بالربوع
ضللت . وضلوا .. ويـا ليتنا نضيء معـا فـي الليالي الشمـوع

* * *

أغـار وأبكي .. ولكنـني أعـود الـى عالمـي الصامـت
فأحيـا هناك .. فـي داخلي .. بعيـدا عـن العالم الصائت
وأعلق دنـيـا يضيء الخيـال مناد حهـا بـسـنـا خافـت
وأبـنـي .. وأهـدم مـا قـد بنيت .. وأحلم في صمتي الباهت

* * *

وكـم كنت أوثـر أن أستطيع البيان ولـو بصدى مختنـق
لأفـرش دنيـاي زهـرا .. وعطـرا .. وشعـرا بأطيافـه أعتق
وأغـزل مـن نفحات الخيـال عوالـم حالمـة تـأتلـق
عـلى صخرة الصمت واللابيـان تضيء ولكـنـهـا تحترق

* * *

وكـم كنت أهـوى اذا مـا سمعتك أن أغـزل الحب في كلمات
وظـنـي وأنت المجنـح فـكـرا بأنـك تقـرؤنـي خلجـات
فحسبي اذا أن أحس بيـانك شلال ضـوء شفيف السمات
يجنح روحـي .. ويسمو بـهـا الى أفـق وامض الأغـنيـات

* * *



صورة جوية تظهر مكان الجامع الأموي من دمشق القديمة .

جامع دمشق الأموي

مفخرة العمارة العربية

بقلم الاستاذ عبد القادر الريحاوي

تحدثت في مقال سابق عن دمشق المدينة التاريخية واحدى عواصم عالمنا العربي . فاستعرضت مراحل تاريخها وكيف نمت وتطورت وحفلت بأنواع المباني والمنشآت من كل عصر وفن . كما تحدثت عن خصائص المدينة القديمة وطابعها العمراني الأصيل وعن أسوارها وأبوابها وأزقتها وعما فيها من أسواق وخانات وقدمت وصفا موجزا للبيت الدمشقي القديم ، المشهور بروعته وجماله (قافلة الزيت عدد جمادى الأولى سنة ١٣٨٤) .

ولقد وعدت القراء حينئذ بأني سأتحدث عن مبانيها الشهيرة في مقال آخر ، وها أنذا أبر بوعدي وأقدم للقراء أحد هذه المباني بل أهمها وأعظمها أنه جامع بني أمية . وهو يحتل

من قلبها النابض بقعة كانت ومـــا تزال مكرسة للعبادة ، ولها تاريخ حافل موغل في القدم . انه صورة مصغرة لتاريخ المدينة السياسي والديني طوال ثلاثة آلاف عام . في تلك البقعة حدث التفاعل بين العديد من ديانات هذا الشرق العربي ، وفيها تطورت ثقافات شعوبه وتمازجت أفكارهم وفنونهم تمازجا رائعا تشهد أثره في كل شبر من هـذه الأرض وفي كل عنصر من عناصرها المعمارية . فعليها أقام الآراميون في مطلع الألف الأول قبل الميلاد معبد « حـدد » الذي ذاعت شهرته في العالم القديم وتحدثت عنه التوراة في سفر الملوك . ثم بني بعده في القرن الثالث للميلاد معبد حديث على اسم « جوبيتر الدمشقي » أو المشتري كما عرفه العرب ، فكان أعظم معابد العصر الروماني فخامة واتساعا ، لم تعرف روما العاصمة نفسها شبيها له . ويكفي لبيان مدى أهميته أن نعلم بأن طول سوره الخارجي بلغ ثلاثمائة وثمانين مترا وعرضه ثلاثمائة متر . وهناك بقية من بوابته الغربية بجبهتها المثلثــة ذات الزخارف الرائعــة والمحمولة عــلى العمد العملاقة . انها قطعة من بقايا كثيرة تحجبها الأبنية في الحـــارات والأسواق المحيطة بهذا الجامع .

جانب من صحن الجامع ويبدو في الصورة الرواق الشمالي ومئذنة العروس .

وحين غدت المسيحية دين الدولة الرسمي في أواخر القرن الرابع ، تحول المعبد الوثني الى كنيسة على اسم النبي يحيى أو القديس يوحنا المعمدان . ولما قدم العرب المسلمون من الجزيرة العربية يحررون بلاد الشام من الحكم البيزنطي ودخلوا دمشق في عـــام ستمائة وخمسة وثلاثين ، ووقع اختيارهم على هذا المكان ليكون مقر العبادة الجديدة أيضا ، شاركوا فيه اخوانهم المسيحيين وفق قواعد الفتح . ذلك أن العرب احتلوا نصف دمشق الشرقي حربا والنصف الغربي صلحا ، فأقامـــوا مسجدهم في النصف الشرقي من المعبد ،



جانب من الرواق الغربي الذي يحتفظ بأصله القديم وفسيفسائه .



المنبر وهو مصنوع من الرخام الملون تزينه الزخارف الهندسية .

وبقي للمسيحيين نصفه الآخر . وسادت الطرفين سياسة التسامح التي أعلنها العرب المسلمون وحرية العبادة التي كفلها الاسلام. وليس أدل على ذلك من قيام طقوس العبادتين في معبد واحد مدة سبعين عاما ، يؤذن المسلمون فيه لصلواتهم ، ويقرع النصارى نواقيسهم متى شاءوا ، دون أن يقع بين الفريقين نزاع أو خلاف .

وتزايد عدد المسلمين مع الزمن فضاق بهم نصف المعبد هذا ، كما لم يعد يليق بدمشق ، وقد بنى العرب المساجد في كل مكان ، أن تبقى دون مسجد حديث .

ودخل الحكام المسلمون مع رعاياهم المسيحيين في مفاوضات طويلة لكي يتنازلوا لهم عن حصتهم فيضموها الى المسجد ، خاصة وان العرب تركوا بأيديهم كنائس عديدة بعد الفتح ، بينها ما هو أكبر من الكنيسة هذه . ثم وُلّيَ الوليد بن عبد الملك خامس خلفاء بني أمية حكم البلاد سنة خمس وسبعمائة . وكانت دمشق قد غدت في عهده عاصمة لدولة عظيمة وأراد الوليد أن يكون لدمشق جامعها الذي يليق بمكانتها ، فعوض حينئذ المسيحيين عن كنيستهم وأرضاهم وفق مبادىء العدل والانصاف ، ثم هدم كل ما كان ضمن جدران المعبد من منشآت رومانية وبيزنطية . وشرع في البنيان ، وأراده منذ البدء أن يكون أعظم ما شيده الملوك على الأرض لكي يأتي متناسبا مع عظمة الدولة العربية .

وهكذا كان فعلا . وبني الجامع وفق مخطط مبتكر يتجاوب مع شعائر الدين الاسلامي الحنيف وأغراض الحياة العامة . فجاء فريدا في هندسته ، لم يبن على نسقه في العهود السابقة أي بناء آخر . وظل المعماريون عدة قرون يستمدون منه وينسجون على منواله . وهنا يجدر بي أن أقدم للقارىء الكريم بعض خصائصه وخطوطه



منظر داخلي في الحرم .



قطعة من الفسيفساء تزين قوس الباب الغربي .

العامة . فهو بناء مستطيل طوله مائة وسبعة وخمسون مترا وعرضه سبعة وتسعون مترا . يحتل الجانب الشمالي منه صحن سماوي تتوزع فيه قبتان جميلتا العمد والتيجان ، وبركة يحف بها من الجانبين عمودان كانا يسرجان في العهود الماضية لإنارة الصحن .

ويؤدي الى هذا الصحن ثلاثة أبواب تصله بجهات المدينة الشرقية والغربية والشمالية. ويحيط بجهاته هذه من الداخل رواق مسقوف قائم على عمد وعضائد تحمل طابقين من العقود الكبيرة والصغيرة مفتوحة الى الصحن . بينما يحتل المصلى الطرف الجنوبي ، وهو قاعة مستطيلة مؤلفة من ثلاثة أروقة تمتد من الشرق الى الغرب وينتظمها صفّان من الأعمدة في الداخل على نسق أروقة الصحن الأخرى . ويقطع الأروقة الثلاثة من الشمال الى الجنوب رواق بالغ الارتفاع يحمل في وسطه قبة النسر الشامخة . ولقد أطلق العرب على المصلى اسم النسر ، القبة رأسه والرواق القاطع جسمه ، والأروقة عن يمين وشمال جناحاه . وسقوف المصلى على هيئة « جملونات » مصفح سطحها بالرصاص . وفي الجدار الجنوبي باب يصل الجامع بالمدينة . فتصبح بذلك متصلة به من الجهات الأربع . وكان في هذا الجدار باب آخر يخص المعبد القديم ويتصل بقصر الخلافة مباشرة ، فسد بعد حريق القصر . ويحتل المحراب الرئيسي احدى فتحات هذا الباب الثلاثي والى جانبه منبر الخطابة . وثمة محاريب أخرى موزعة في الدار الجنوبي أيضا يتجه نحوها الامام ومن خلفه المصلون صفوفا موازية لجدار القبة . ومخطط المصلى هذا وتنظيمه يحقق ما تتطلبه شعائر الصلاة من اتجاه نحو الكعبة المشرفة .

ويسترعي انتباهنا في هذا المصلى بناء صغير أنيق قائم بين أعمدة الرواق الأوسط. انه ضريح النبي يحيى الذي تواترت الروايات التاريخية مؤيدة وجود رأسه مدفونا في هذا المكان من الجامع . وقد أمر الوليد بأن يجعل فوقه عمود يختلف عن العمد الأخرى ليدل عليه . ونوافذ المصلى التي نافت على المائة ، كانت مصنوعة من الجص المعشق بالزجاج الملون وتشبه بزخارفها الناعمة أفخر أنواع البسط . اذا طلعت عليها الشمس انبعثت عنها ألوان من الأشعة تخلب الأبصار .

وفي الجامع ثلاثة أبراج شاهقة هن منائر الأذان . بنيت كلها في عهد الوليد ، ولكن أقسامها العليا جددت في العصور اللاحقة الأيوبية والمملوكية والعثمانية . الأولى تتوسط الجدار الشمالي وهي التي اشتهرت بمئذنة العروس . والاثنتان الأخريان شيدتا في زاويتي المصلى الشرقية والغربية فوق اثنين من أبراج المعبد القديمة ، وقد عرفت الشرقية بمئذنة عيسى .

أما القاعات الأربع الموزعة في أركانه في الشرق والغرب فقد سميت منذ وقت مبكر بالمشاهد ، واستعملت في أغراض شتى كالعبادة والتدريس والاجتماع ، ولخزائن الكتب والمستودعات .

هذا هو الجامع الأموي الذي استغرق بناؤه عشر سنين وعمل فيه ألوف البنائين والفنانين ، وأنفق عليه خراج الدولة سبع سنين على قول بعض المؤرخين أو أربعمائة صندوق من الذهب في كل صندوق أربعة عشر ألف دينار على رأي البعض الآخر .

فلقد سخا الوليد في الانفاق على بنائه وتجميله بكل أنواع الزخرفة ، وود لو وضع فيه لبنات الذهب لكنه كساه بعد ذلك بما هو أبهى وأجمل . فلقد أزرت جدرانه كلها بالرخام المجزع المفصل أشكالا وألوانا وأكملت الى السقف بالفسيفساء . وهي فصوص من الزجاج الملون بينها المذهبة

والمفضضة وتتخللها الاصداف الناصعة البياض . رصفت بحيث تألف منها كل ما خطر على بال الفنان من رسوم هندسية ، ونباتية وآيات قرآنية ، ومناظر للطبيعة ، بينها القصور والدارات التي تجري من تحتها الأنهار وتحف بها الأشجار والأزهار . أما سقوفه فقد صنعت من الخشب ، المحلى بالنقوش ، والموشاة بالذهب . وعلقت القناديل والثريات بسلاسل من الذهب الخالص . ثم أرخيت على أبوابه أستار الحرير .

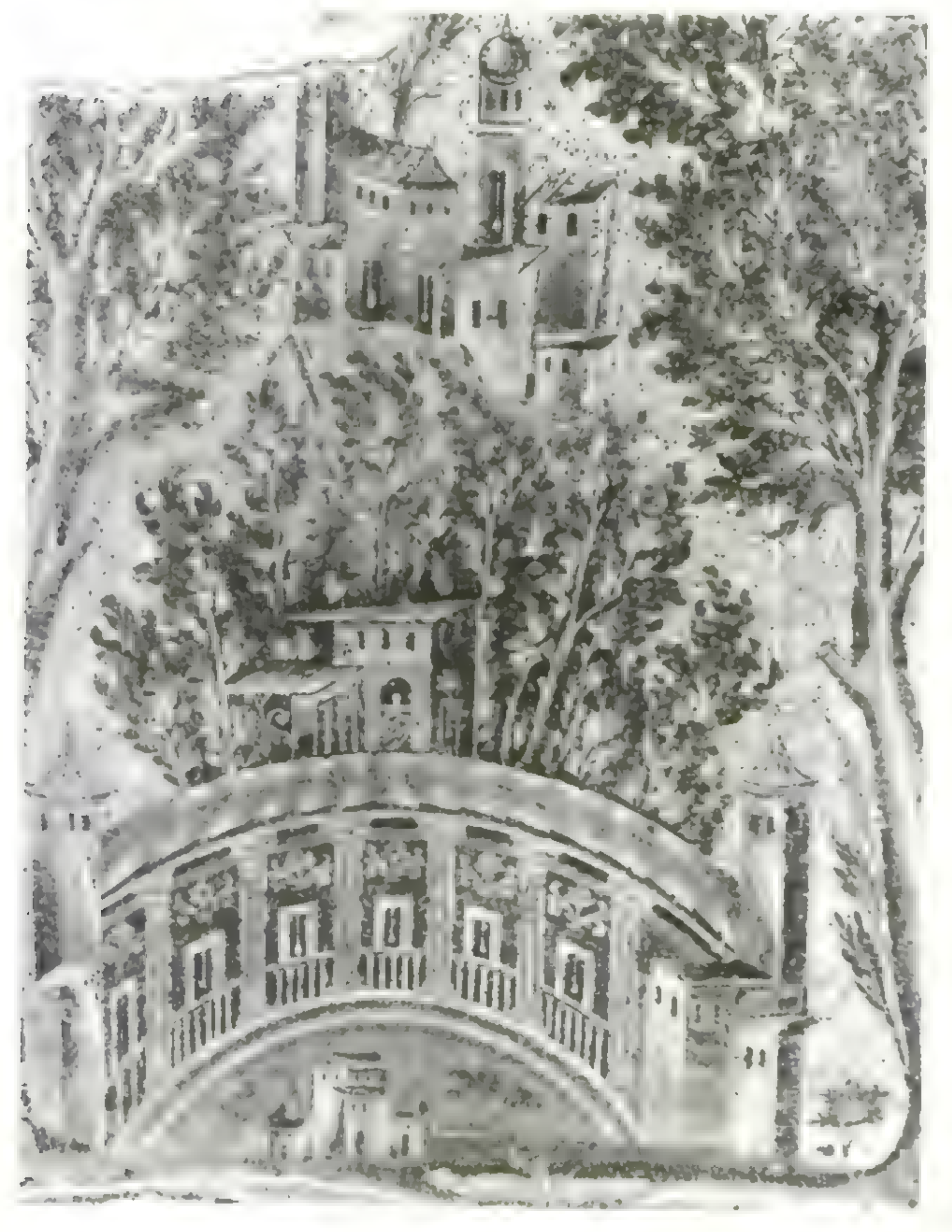
وهكذا ظهر الى حيز الوجود مشروع الوليد العمراني آية من آيات العمارة والفن . وعد أعجوبة من الأعاجيب. ولما بلغ خبره الدولة البيزنطية جاء وفد من القسطنطينية لمشاهدته . وكان لهذه الزيارة أثر هام تحدثت عنه كتب التاريخ . فقد بلغ من دهشة الوفد ان صرح أحد أفراده بما معناه : « اننا الآن وقد شاهدنا هذا البنيان الرائع لموقنون بأن العرب باقون في هذه البلاد الى الأبد ، وانه لا رجعة لبيزنطة اليها بعد اليوم » .

وظل الجامع بضعة قرون فتنة للناظرين ووحيا للشعراء ومهوى أفئدة الرحالة والناس أجمعين . ولم تكن وظيفته لتقتصر على شؤون العبادة وحدها ، بل كان بؤرة للنشاط السياسي ، والاجتماعي ، ومركز الاشعاع الثقافي والعلمي ، توزعت حلقات التعليم والدراسة للصغار والكبار في شتى زواياه وجوانبه ، وشيدت حوله عشرات المدارس بحيث غدا يؤلف معها حتى عصرنا الحديث مدينة جامعية حقيقية .

ولم ترع المصائب والكوارث حرمة هذا البناء المقدس ، وأنزلت به الزلازل والحرائق العديدة أضرارا بالغة أذهبت جدته وشقت فسيفساءه وقوضت الشيء الكثير منه . حدث أول حريق فيه سنة ألف وسبع وستين للميلاد ثم كان الحريق الأخير سنة ألف وثمانمائة وثلاث وتسعين . ولكنه رغم كل ذلك بقي في عداد أشهر أوابد العالم ، ولم يكن مصيره كمصير غيره من الأبنية التاريخية الكثيرة التي اندثرت قبله وبعده . فقد قيض الله له في كل العصور ملوكا وحكاما عنوا به وأصلحوا ما فسد منه ، وجددوا ما ضعف من عناصره ، ليبقى أثرا من آثار حضارة الأمة العربية وتراثا للانسانية جمعاء .

ومن حسن الحظ أن هذه الترميمات العديدة لم تغير هندسته ومعالمه الأولى ولم تدخل أي تعديل على مخططه الأصيل كما حدث للكثير من مساجد العالم الأخرى ، بل جعلت منه متحفا يضم بين جوانحه من كل عصر أثرا . فهو لمؤرخي الفن مادة غزيرة لأبحاثهم ، وللسياح وعامة الناس متعة لا تقدر بثمن . .

لوحة من الفسيفساء تزين أحد جدران الجامع .



الخطوط والحروف العربية

بين

التقليد .. والتطوير .. والتجريد

لقد نال الخط العربي من العناية والتقدير ما لم ينله الخط عند أية أمة أخرى . فبينما كانت الحروف في الجاهلية المتأخرة تبدو وكأنها قطع من الحجارة الصم انقلبت فيما بعد الى أغصان وأزهار تنبض بالحياة فأصبح الخط فنا غايته الجمال وأصبح الخطاط فنانا بالمعنى الحديث .

ولعل أي تطور يحفظ للخط العربي روحه متمشيا مع روح العصر في أسلوب قويم لا يفقده ماضيه ولا يبتره من حاضره ، لعل أي تطور من هذا القبيل لا يشذ عن نواميس الحياة وتطور الخط العربي بالذات .

الخط يبقى زمانا بعد كاتبه

الخط يبقى زمانا بعد كاتبه

الخط يبقى زمانا بعد كاتبه

الخط يبقى زمانا بعد كاتبه

بقلم الاستاذ جاد الكاد

ظهرت في المدة الأخيرة لدى بعض الفنانين العرب محاولة استيحاء الخط العربي كعنصر فني في ابراز تكوينات حديثة تتميز بالطابع العربي الأصيل .. ومع حركة التجديد التي شملت كافة المناحي الحياتية والفكرية ، والتي أصبح لها رواد وتابعون بدأت في السنوات الأخيرة أيضا حركة تجديد في كتابة الخطوط والحروف العربية ، يحاول أصحابها مواكبة روح العصر بل ان البعض تطرف في دعوته للتجديد والتطوير ، ونستعرض فيما يلي الخطوط العريضة لابعاد هذه الحركة ومدلولاتها في محاولة جادة لطرح الأمر على بساط الموضوعية .

لا بد لنا من تمهيد عن أنواع الخط العربي الأساسية والفرعية ، وقد فصل لهذا الحديث الأستاذ منير الكيال في مؤلفه الشهير « فنون وصناعات دمشقية » .

وأنواع الخط العربي الرئيسية ستة : الثلث ، والنسخي ، والرقعي ، والديواني (الهمايوني) ، والفارسي ، والاجازة (التوقيع) .. وتعتبر هذه خطوط أساسية .. على أن هنالك خطوطا تعتبر الآن فرعية ، لكنها كانت في يوم ما أساسية ، لعبت دورا مهما في حياة اللغة والكتابة العربية مثل : الخط الكوفي ، وخطوط المغرب العربي والسودان المتفرعة عنه ، وخط سياقت ، وخط التاج .

الخط الثلث

يعتبر أبا الخطوط ، ولا يحسب الخطاط خطاطا الا اذا اتقنه ، فهو أصعبها . وأول من وضع قواعده هو « ابن مقلة الوزير » كما ساهم في وضع قواعد الخط النسخي وأسماه البديع ، ثم أطلق عليه فيما بعد اسم « النسخي » لكثرة استعماله في نسخ الكتب ونقلها . وهناك خط بين الثلث والنسخي ويسمى بخط التوقيع (الاجازة) وقد وضع أساسه أيام خلافة المأمون حيث كانت تحرر به كتب الخلافة .

الخط الرقعي

أما الخط الرقعي فهو أسهل الخطوط ، وكل من يتقنه لا يصعب عليه الخط الديواني (الهمايوني) ، وهذا الأخير قسمان : الديواني الرقعي والديواني الحلبي ، فالأول ما كان خاليا من الشكل والزخرفة ولا بد من استقامة سطوره من الأسفل فقط ، والثاني ما تداخلت حروفه بعضها بالبعض الآخر ، وما كانت سطوره مستقيمة من الأعلى والأسفل ، ولا بدّ من تشكيله بالحركات وزخرفته بالنقط حتى يكون كالقطعة الواحدة . وقد سمي بالديواني الهمايوني لأن جميع الأوامر والانعامات والفرمانات التركية الصادرة عن ديوان السلطان العثماني كانت تكتب به ، وكان أيام الخلافة العثمانية سرا لا يعرفه الا كاتبه ومن ندر من الطلبة الأذكياء .

الخط الفارسيّ

والخط الفارسي ثلاثة أنواع ، والشائع منه هو الفارسي العادي المعروف ، وأول من وضع قواعده التبريزي ، وقد استنبطه من أجزاء البط والطيور والدواجن .

وهناك خط « سياقت » الذي انقرض منذ قرنين تقريبا ، وكان يعتمد في الدفاتر والبراءات . وخط التاج نسبة الى ملك مصر السابق فؤاد الأول الذي طلب الى الخطاطين أن يبتكروا صورة للحروف الهجائية في خطي النسخي والرقعي بحيث لا يغير شكلها المعروف ، وتؤدي ما تؤديه الحروف الكبيرة في اللغات الأجنبية لتوجيه انتباه القارىء الى أوائل الكلام وتمييز الاعلام عن غيرها .

الخط الكوفي

بقي الخط الكوفي ، وهذا من أقدم الخطوط . فقد كان لعرب اليمن خط يسمى بالمسند الحميري ، وكان للعرب القاطنين في شمالي الجزيرة خط يسمى بالنبطي ، ثم اشتق اهل الحيرة والانبار من النبطي خطا سمي (الحيري) أو (الانباري) ، وهو الذي سمي فيما بعد الخط الكوفي ، وقد وصل الى الحجاز على شكلين :

١ — المقور المسمى بالنسخي وهو المستعمل في المراسلات والكتابات العادية .

٢ — المبسوط أو ما يسمى باليابس ، وهو المستعمل في نقش المحاريب وأبواب المساجد وجدران المباني الكبيرة وقد بلغ الخط الكوفي في العصر العباسي منزلة رفيعة وأدخل عليه كثير من فنون الزخارف .

المحاولة الجديدة

لنقف الآن على رأي بعض الفنانين الذين بدأوا اليوم تجربة استيحاء الخط العربي كعنصر فني في اللوحات التي يرسمون :

يقول الفنان العربي الشهير محمود حماد ، وهو أحد الذين يحاولون هذه المحاولة : « ان الخط العربي عنصر تشكيلي وتجريدي يمكن الاعتماد عليه في انجاز أعمال فنية تستند الى عنصر من تراثنا ، عنصر عريق ، بدل الاعتماد على الأشكال التجريدية المحضة المستخدمة في فنون الغرب ، فالحروف بصورة عامة (الصيني واللاتيني مثلا) استخدمت في تكوين أعمال فنية منذ القدم ، والفكرة ولدت عندي منذ عدة سنوات ، فقمت بعدة دراسات فنية فردية حولها ، ثم فوجئت بأن غيري من الفنانين العرب في سورية وفي الأقطار الأخرى يحاول مثل هذه المحاولة ، كما أن زميلي الفنان المرحوم أدهم اسماعيل كان يقوم بالتجارب نفسها ، وأذكر انني تباحثت معه في أمر التعاون للسير بهذا المشروع الى الأمام للوصول الى قيم فنية جديدة تفتح الطريق الى أساليب فنية أصيلة ومبتكرة بآن واحد » .

ويعلق أحد النقاد الذين وقفوا على هذه التجربة عن كثب فيقول : انها خطوة كبيرة ومحمودة ، اذ يستطيع الفنان بواسطتها الوصول الى التجريد ، ولكن عن طريق عناصر فنية من تراثنا العربي ، وهذا الأسلوب الفني الجديد يمثل مرحلة مهمة من مراحل تطور الفنون العربية .

جمال مميز

ولا شك أن للحروف العربية جمالا مميزا ان كان بالنسبة للمفردات أو بالنسبة للتراكيب . وهنا نلتقي مع رأي دارسي الخطوط والحروف العربية الذين يؤكدون أن سبب هذه الجمالية كثرة الأيادي الفنانة المرنة المطواعة التي كان يسيرها ذهن خصيب بالابتكار والتجديد ، بالاضافة الى طبيعة الحرف العربي الذي يقبل المد والمط وغير ذلك . وفن الزخرفة في الخط العربي هو من أسباب استجابته لنوع من التجريد ، فأصبحت غايته اليوم التعبير عن أفكار أطلقت من عقالها التقليدي . ولكن مهمة الخطاط التجريدي اليوم أسهل بكثير من مهمة الخطاط التجريدي في الماضي ، ولهذا نجد صعوبة في تبين العنصر الكتابي لدى الثاني وسط تلك الأفانين الزخرفية التي اعتمد فيها على قابلية الحروف للمد والانثناء ، مما ساعده على شغل الفراغ بين الحروف المنتصبة بدورها في تواز زخرفي ، وهذا مما يجعل المتفرج والدارس يقف مشدوها أمام توزيعات الخطاط وتجميعاته للحروف .

حديث التقليد والقاعدة

يقول جماعة التقليد والقاعدة في تعقيبهم على حديث التجديد والتجريد في الخط العربي : لا مانع من التجديد على أن يظل هذا نسبيا ، وفي حدود القاعدة التي هي مرنة دائما ، فمن محاسن الحروف العربية شدة جيوبتها الناشئة عن مطاوعتها واستدارتها جميعا على أصل هندسي ثابت وقاعدة رياضية معروفة . فأصل الحروف العربية هو حرف الألف ، وهذه الألف هي خط مستقيم جعلوه قطرا لدائرة ، أما بقية الحروف فهي أجزاء من الدائرة المحيطة بهذا القطر ، منسوبة اليه ، ولو أعيدت الحروف الى التسطيح وأزيل تقوسها ، لكانت كلها من الألف بنسبة معينة ثابتة . ومع أن لكل حرف من حروف العربية هندسته الخاصة ، فالحروف كلها ، بأجزائها مردودة الى نسبة ثابتة عرفت بالنسبة الفاصلة ، فعرض الألف في الكتابة المقوسة بالنسبة لطولها هو $\frac{١}{٨}$ ، وتظل هذه النسبة مرعية مهما تفاوتت المسافات التي تكتب فيها ، وعندما لا تلتزم هذه النسبة ، كما لدى جماعة التجريد المحدثين ، يفسد جمال الخط ، فعندما تكون هذه النسبة $\frac{١}{١٢}$ مثلا تكون الألف طويلة ، كما انها عندما تكتب بنسبة $\frac{١}{٤}$ تكون قميئة وقبيحة

الحرف والصورة

وفي التعقيب على محاولة دمج الحرف بالصورة لدى خطاطي التجريد يقول جماعة القاعدة : « ان الحروف العربية تمتاز ببساطة صورها اذا قيست بحروف الأمم الأخرى ، وسبب قلة

عدد صورها تشابه عدد كبير من حروفها ، كما انها بطبيعة كونها ترسما لاحدى اللغات السامية فانها تكتفي بالحروف الساكنة في رسم الكلمات دون الحاجة الى حروف الحركة لتلافي اجتماع الساكنين وذلك بسبب توفر العلامات الاعرابية التي رمزت لهذه الحركات . » ومن هنا ندرك كيف كانت الكتابة العربية عندما اعتمدها عرب الحجاز ليسجلوا بها لغتهم . فكانت غير صعبة رغم خلوها من الحركات الاعرابية والنقط في ذلك الوقت ، فالصعوبة الحالية في تفهم الخط القاعدي انما هي صعوبة ناشئة عن جهل بقواعد النحو والصرف ، ذلك لأن الكتابة العربية يمكن أن تفي بجميع الأغراض النطقية التي تتطلبها منها اللغة ، فهي وسيلة كاملة للتعبير عن منطوق الحروف في لغة الضاد ، ساكنها ومتحركها .

قضية اللغة والحرف

في الطرف المقابل لهذا الرأي نجد رأيا آخر مناقضا له ظهر مع الدعوة لاستبدال الحرف العربي بالحرف اللاتيني . ويقول صاحب هذا الرأي المخالف وهو يتعرض لقضية اللغة والحرف : « اللغة في أحدث ما يحددها العلماء هي افراز اجتماعي ، انها مجرى يرافق الانسان ، والافراز يتم بالنطق ، والنطق وحده بتطوره المستمر يماشي الانسان المتطور ، فاللغة تؤخذ من الفم لا من الورقة ، ومتى ازدوجت اداة التعبير في شعب من الشعوب ، أي متى أصبح له لغتان مختلفتان ، الواحدة في الورقة والأخرى في الفم ، توجب عليه حتما ترك لغة الورقة وأخذ لغة الفم .. هذا تاريخ الثلاثة آلاف لغة القائمة في العالم . »

وبالرغم من الضجة التي رافقت هذه المحاولة ، فانها لم تستطع أن تعيش ، ذلك لأن التطور لدى الشعوب الحية يفرض وجوده ولكن دون أن تقتلع جذور اصالته . فاذا انتقلنا الى حديث التجديد والتجريد في الخط العربي الحديث مثلا ، نجد أن روح العصر التي فرضت على انسان هذا القرن وجوب مواكبة التطور الحضاري ، هي التي دفعت الى هذا التجديد وهذا التجريد كما في الشعر والرسم والموسيقى وبقية الفنون الأخرى . والرؤيا لدى انسان العصر أصبحت مختلفة من حيث أبعادها وزواياها عما كانت عليه لدى انسان القرن الماضي مثلا . ان الصورة تنقل اليه اليوم الاحداث بسرعة عجيبة ، فالفيضان الذي يحدث صباحا في الشرق الأقصى يشاهده متفرج التلفزيون قبل انقضاء اليوم في نيويورك مثلا ، ولهذا عمد الخطاطون الى تجريد جديد في الخط يتفق مع هذه الرؤيا العصرية ، في المجال الصحفي ، ومجال المجلات بشكل خاص . فالمجلة التي تنشر تحقيقا مصورا باللغة العربية عن زلزال مثلا ، يحاول خطاطها جعل كلمة « زلزال » تتكلم وتوحي ، فيرسم حروفها مهزوزة حيث تبدو كأنها أعمدة صرح هزه الزلزال وأحدث فيه شقوقا بحيث يكاد يتداعى ويسقط .

هذا العجز

ان الخلاف بين جماعة التقليد في الخط وجماعة التجريد والتطوير لم يتخذ حتى الآن صفة حادة من التوتر . وفي حياة الأمم والشعوب المتطورة نجد دائما هذا التأرجح بين التجديد والتقليد ، وبين الموروث والمحدث ، على اننا نرى في حروف اللغة العربية عجزا واضحا عن اداء المقاطع الحركية الموجودة في اللغات المشتقة من الأصل اللاتيني مثلا . وقد حاولنا الرجوع الى المصادر التي درس أصحابها هذا الموضوع فلم نظفر الا برد مختصر يقول :

« هذا الأمر لا يعيب حروف اللغة العربية ، لأن ادغام حروف العلة ليس من خصائص لغة الضاد » .

على اننا وقفنا على رأي آخر ينظر الى الموضوع نظرة عملية ويقول : « في وسع علماء الحرف واللغة ابتكار حروف أو رموز تسد هذا العجز الذي ليس في الأساس من طبيعتها على نحو ما ابتكرت ال(ب) وال (ف) ، وليس بعسير على أهل العربية أن يجعلوا كتاباتهم ذات صور حاسمة تمحي فيها الالتباسات بشيء من الابتكار عن طريق جعل رسم الكلمة متفقا مع منطوقها ؛ وبهذا تبقى صعوبة الاعراب . ولتلافي هذه الصعوبة يتحتم تشكيل أواخر الكلمات وضبط بعض حروفها لتأتي صحيحة النطق . »

هذه خطوط عريضة وملامح عامة لحديث الخطوط والحروف العربية بين التقليد والتطوير والتجريد ، والموضوع يظل بعد هذا في حدود الرأي الشخصي الذي لا يستطيع أن يجزم بقول حاسم ، ذلك لأن تجارب التجديد العصرية تصبح في كثير من الأحيان تقليعة مختلفة تقول بالعودة الى القديم . وكما حدث في الأزياء النسائية حيث عادت الى أزياء جداتنا السالفات ، فاننا نتوقع أن تعود تقليعة التجريد في الخط العربي الى التقليد الهندسي القديم .

حاول ان تجيب

— ١ —

كم برميلا بلغ انتاج أرامكو من المنتجات الرئيسية التالية خلال عام ١٩٦٥ ؟

أ — زيت الوقود .
ب — البنزين .
ج — غاز البترول السائل .

— ٢ —

من هم آباء الصناعات الآتية ؟

أ — الورق .
ب — المطاط .
ج — البترول .

— ٣ —

في أي عام تأسست كل من الجامعات العربية الآتية ؟

أ — جامعة الرياض .
ب — جامعة الجزائر .
ج — الجامعة السورية في دمشق .

— ٤ —

على أي من الحيوانات أو الطيور تطلق الأسماء التالية ؟

أ — كلثوم .
ب — عكرمة .
ج — عكرشة .

الاجوبة على صفحة (٤٥)

اثر نشاط العرب في بناء الحضارة

بقلم الاستاذ محمد صالح برندي

كان لنشاط العرب العلمي في القرون الوسطى أثر بارز في تقدم العلوم والمعارف وانتشار المدارس ودور العلم والمعرفة ، وفي الاسهام بقسط وافر في بناء صرح الحضارة العالمية ، فالمؤرخون والباحثون يعترفون بأن أثر العرب العلمي يعتبر نقطة تطور هامة في تاريخ البشرية لما ترتب عليه من تغييرات عقلية وعلمية واجتماعية باقية . فلقد وجدت في البلاد العربية الاسلامية مدارس ومعاهد علمية فخمة ومنشآت كبيرة لتيسير العلم ، وأغدقت عليها الأموال والخيرات وحجزت عليها الأوقاف بصورة تدعو الى الفخر والاعجاب ، بحيث لا نجد لها نظيرا في تاريخ الأمم القديمة والمعاصرة للعرب حينذاك . ولهذا قام نشاط علمي منقطع النظير في البلاد العربية ، ووثبة جبارة في ميادين العلوم والفنون . ويقول الدكتور غوستاف لوبون في كتابه (حضارة العرب) :

« ان النشاط الذي أبداه العرب في الدراسة كان مدهشا جدا ولئن ساواهم في ذلك كثير من الشعوب ، فلم يكن منهم فيما أظن من سبقهم . وكانوا اذا استولوا على مدينة وجهوا عنايتهم في الدرجة الأولى الى تأسيس جامع واقامة مدرسة . وان هذه المدارس في المراكز الكبرى كانت كثيرة دائما . وان بنيامين الطليطلي المتوفى سنة ١١٧٣ ميلادية روى أنه رأى عشرين مدرسة من هذه المدارس في مدينة الاسكندرية » .

ولا ريب فوسائل العلم والمعاهد والمدارس العربية نشأت من صميم حاجات المجتمع وتطوراته ، نابضة بروحه متصلة بنموه ، ومتطورة بتطوره وهي تتألف من :

الكتاب : وهو أقدم تلك الوسائل ، وكان عاما للجميع ، يتعلم فيه الغني الى جانب الفقير ، وهو موجود في القرى الصغيرة والمدن الكبيرة ، ويعتبر المدرسة الأولية للجميع .

المسجد أو الجامع : ويلي الكتاب في المرحلة التعليمية ، ولم يكن الدخول اليه مقيدا بشرط ، فباستطاعة الجميع الاستماع الى الدروس ، ما دامت لديهم الرغبة في العلم والقدرة على الفهم .

دور الحكمة: ثم نشأت بعد ذلك دور الحكمة ودور العلم ، وهي وليدة المرحلة التي امتزجت فيها الشعوب المختلفة والحضارات الرفيعة في عهد الدولة العباسية ، وما ترتب على ذلك من نشاط في الحركة العلمية وفي الترجمة وأدى ذلك الى استقدام العلماء والاحاطة بعلوم الأقدمين ، وخاصة الاغريق . ويتجلى ذلك (بدار الحكمة) في بغداد ، وفي مثيلاتها بالقاهرة التي قام بانشائها الفاطميون .

المدارس : وجاء بعد ذلك دور المدارس وهي معاهد عليا ظهرت في نهاية القرن الرابع الهجري ، وكانت أكمل استعدادا للدراسة المتصلة المستمرة من الجامع والمسجد وتوفرت فيها أماكن لسكنى الطلاب المنقطعين للعلم . فقد وصف المؤرخون احدى هذه المدارس ، وهي المدرسة المستنصرية في بغداد بما يلي :

« تعتبر هذه المدرسة التي بناها الخليفة المستنصر في بغداد بالقرن الثالث عشر الميلادي من أجمل مدارس العالم الاسلامي ، وان ما بذل في بنائها من جهد ومال ليلقي ضوءا على مبلغ تقدير العرب والمسلمين في ذلك العصر للعلم وأصحابه ، فقد بلغت تلك المدرسة درجة من الجمال والفخامة في البناء لم تبلغها منشآت الاسلام الأخرى ، ويذكر ابن الفرات انه كان بالمدرسة مكتبة كبيرة تحتوي على مختلف الكتب في شتى العلوم ، وقد رتبت بحيث يسهل على كل طالب الاطلاع على ما يريد ، وزودت بالحبر والورق لمنفعة القراء والناسخين . وبداخل المدرسة حمام ومستشفى جعل له طبيب خاص يعود المرضى كل يوم . » ويمكن القول ان هذه المدرسة تعتبر بمصاف الجامعة الحديثة بنظافتها واستعدادها للطلاب ، وقيامها بتوفير وسائل احتياجاتهم للدراسة بغية الانقطاع الى العلم ، والتفرغ للدرس .

دور الكتب: ثم نشأت بعد ذلك دور الكتب والمكتبات العظيمة التي كان لها شأن كبير في نجاح تلك المؤسسات العلمية من المدارس والمعاهد وحسن قيامها بتأدية رسالتها العلمية . فقد زودت معظم المدارس والمساجد ودور العلم والحكمة بالمكتبات الضخمة . ويذكر المقريزي عن مكتبة جامع الحاكم وخزانة كتب دار الحكمة حيث يقول انها فتحت أبوابها للقراء والنساخ في مختلف العلوم وزودت بالمداد والورق . كما يذكر خزانة كتب عظيمة ألحقت بالمدرسة الفاضلية بلغ ما فيها من الكتب عشرة آلاف كتاب ، وهذا قد نشأ في ذلك العهد الذي لم يعرف فيه فن الطباعة .

ويشير ابن القفطي الى مكتبة عربية بلغ عدد ما حوته من الكتب في الهندسة وعلم الفلك

(٦٥٠٠) كتاب ، كما كان بها كرة أرضية لبطليموس وأخرى لأبي الحسن الصوفي اشتريتا بمبلغ عظيم يفوق حد الوصف .

واهتم العرب في اسبانيا بأمر المكتبات كما اهتم اخوانهم في الشرق .

ويروي المؤرخون ان أشهر خزانة للكتب في الأندلس كانت خزانة الحكم الثاني التي بلغ عدد ما كان فيها من الكتب أربعمائة ألف كتاب . والى جانب تلك الخزانة أنشأ عدد كبير من الأفراد دورا عامة للكتب ، وأخذوا يتبارون في ذلك بحماس شديد . ولم تسلم النساء من حمى الشغف بجمع الكتب اذ أصبح ذلك من التقليد الشائع بينهن ، بل لقد وصلت العدوى الى الأرقاء أيضا ، فكان لبعضهم مجهود مشكور في بناء المكتبات وجمع الكتب . وفي ذلك يقول الدكتور غوستاف لوبون :

« لقد كان في اسبانيا وحدها سبعون مكتبة عامة ، وكانت مكتبة الخليفة الحكم الثاني في قرطبة تحتوي كما ذكره المؤلفون العرب على ستمائة ألف مجلد ، كان منها أربعة وأربعون مجلدا للفهرس فقط . وبهذه المناسبة فقط لوحظ بحق أن شارل الحكيم لم يستطع بعد أربعمائة سنة من هذا التاريخ أن يجمع في مكتبة فرنسا الملكية أكثر من تسعمائة مجلد ، يكاد يكون ثلثها في علم الكهنوت » .

على أن حضارة العرب العلمية لم تقتصر على طلب العلم والاهتمام به بل ونشره وتيسير سبل الاستفادة منه ، في كل بلد قدموا اليه ، ويقول الأستاذ « بول كولين » في كتابه (تاريخ مدرسة بيروت) :

« لم يمض على فتح العرب لمصر خمسة قرون حتى بلغ عدد مدارس الاسكندرية عشرين مدرسة ، بينما لم يستطع الرومان أن يؤسسوا في مصر أكثر من مدرسة واحدة خلال سبعة قرون ، ثم لم يلبثوا ان أغلقوها بأمر من الامبراطور جوستينيان » .

ويقول الدكتور غوستاف لوبون أيضا في كتابه المذكور مشيدا بأثر الحضارة العلمية العربية : « وعدا عن مدارس التعليم البسيطة ، فان المدن الكبرى مثل بغداد والقاهرة وطليطلة وقرطبة الخ ... كان فيها جامعات علمية مجهزة بالمختبرات والمراصد ، والمكتبات الفنية . وبكلمة واحدة فان هذه الجامعات كانت مجهزة بكل المواد الضرورية للبحوث العلمية » .

وقد تنافس الأفراد في العصور العربية باقامة دور العلم والمؤسسات العلمية ، وأدى ذلك الى نمو روح الشعور بالمسؤولية الاجتماعية بين الأفراد وادراكهم لواجباتهم في نشر العلم ، ورغبتهم الشديدة فيه .

ويلاحظ أن المعاهد الاسلامية قام ببنائها وتكاليف انشائها أفراد بمجهوداتهم الخاصة ، وساهمت الحكومة بنصيبها في ذلك . ونحن في العصر الحاضر بحاجة ماسة الى انتشار هذه الرغبة وتلك الروح العلمية المثالية في بناء الجامعات والمعاهد العلمية عن طريق مشاركة الأفراد بمجهوداتهم ، وفي الانفاق عليها وتحويلها كما يجري ذلك حاليا في بعض الدول .

ان اقبال العرب على هذا النشاط العلمي وشغفهم بذلك قد شهد به بعض المؤرخين ، فيقول الدكتور غوستاف لوبون أيضا :

« لقد بلغ شغف العرب بالتعليم مبلغا عظيما ، حتى ان خلفاء بغداد كانوا يستعملون كل الوسائل لجذب العلماء وأشهر الفنانين في العالم الى قصورهم . وان أحد هؤلاء الخلفاء بلغ به الأمر الى حد اعلان الحرب على قيصر القسطنطينية ، وذلك ليجبره على السماح لأحد الرياضيين المشهورين بالمجيء الى بغداد والتعليم فيها . ولقد ازدحم في هذه المدينة الكبرى الفنانون والعلماء والأدباء من كل الأديان وكل البلاد من فرس ويونان وأقباط وكلدان ، وجعلوا من بغداد المركز العلمي الحقيقي في العالم . ولقد كان المأمون ابن الرشيد ينظر الى العلماء كما قال أبو الفرج كأنهم مخلوقات اختارهم الله لاكمال العقل .

وقد ظهرت بصورة جلية واضحة روح المساواة والديموقراطية في المعاهد والمدارس العربية فلا توجد هناك مدارس للأغنياء وأخرى للفقراء ، بل كانت هذه مفتوحة الأبواب للجميع . وسهلت أمور الدراسة والتعليم لجميع طالبي العلم وراغبيه ورواده ، فنشأ بها أشخاص عصاميون كان لهم أثر كبير في العلم والتأليف والدراسة ، وقد تفوقوا على أقرانهم كالجاحظ والغزالي وغيرهما . فهذه المدارس العلمية العربية أتاحت للفقير والغني على حد سواء الفرصة للتعلم ، فلم يحتم على الطلاب الفقراء ان يقنعوا بمكانهم المتواضع في الحياة بحجة أن الله اختار لهم ذلك كما كان يحدث في أوربا حتى القرن التاسع عشر .

وقد أدت تلك النزعة العلمية والرغبة المثالية الشديدة في تلقي العلم ونشره الى المضي في تحصيله والتفرغ له ، واحتقار المادة دونه . وحدث نشاط عظيم في الانتاج والتأليف أدى الى سمو في الخلق الذي اعتبره الفارابي الشرط الأول في التحصيل فيوصي طالب الفلسفة بأن يبدأ بتهذيب ميوله الغريزية حتى يستطيع أن يوجه كل عنايته لاحراز الفضيلة .

لقد نوه المؤرخون الغربيون والمستشرقون وأعجبوا بالنشاط العلمي في الحضارة العربية ، وفي تلك الميول السامية والجهود الكبيرة في سبيل التعليم والتأليف والترجمة ، واحياء التراث القديم وحفظه من الضياع ، فيقول الدكتور غوستاف لوبون : « ان العلم الذي استخفت به جدا أمم أخرى قد رفع المسلمون من شأنه عاليا ، واليهم في الحقيقة ترجع هذه الملاحظة الصائبة : « انما الناس هم الذين يتعلمون والذين يعلمون ، واما من عداهم فمضر ولا خير فيه » .

كما تعد طريقة المناظرة التي سادت في المعاهد والمدارس الاسلامية العربية قديما تراثا علميا هاما ، وتربويا تقدميا ، فهي قد ساعدت على تحرير الفكر وظهور المباراة والتنافس بين المتناظرين ، وعملت على شحذ الذهن وتنشيطه . وقد توسع انتشارها في المدارس العربية ، وكان لها ما للتمثيل (الدراما) من مكانة عند الاغريق والرومان . وأخذت الجامعات الأوروبية في العصور الوسطى بتلك الطريقة التربوية النافعة .

وصفوة القول أن النشاط العلمي العربي كان عظيما في أهدافه ، ساميا في غاياته ومراميه ، وهو يعبر عن حضارة علمية زاهرة ، ساهمت في بناء الحضارة العالمية وتجلت في المدارس والمكتبات العربية الكبيرة ، وفي الانصراف الى التأليف والتعليم والمطالعة والانتاج والترجمة ، والتنقيب وراء العلوم والفنون وبذل المال والجهد في سبيلها بسخاء واسراف .

فيقول الدكتور غوستاف لوبون :

« ان دور العرب العلمية لم تقتصر فقط على ترقية العلوم باكتشافاتهم ، بل عملوا على نشرها بواسطة جامعاتهم ومؤلفاتهم ، وان التأثير الذي أحدثوه في أوربا من هذه الناحية الأخيرة قد كان عظيما جدا ، وان العرب كانوا في مدة عصور عديدة هم وحدهم الاساتذة الذين عرفتهم الأمم الأخرى ، واننا اليهم وحدهم مدينون في معرفة القديم اليوناني واللاتيني ، وان التعليم في جامعاتنا لم يتوقف عن الاعتماد على ترجمة الكتب العربية الا في الأيام الحديثة » .



النقل وأهميته في صناعة الزيت

إحدى سيارات النقل الضخمة التابعة لأرامكو تشق طريقها عبر مهامه الصحراء جارة خلفها بعض المعدات الثقيلة .



وجد النقل منذ وجود الانسان على سطح الأرض ، اذ كان يتنقل من مكان الى آخر معتمدا على قوة عضلاته في نقل صغاره ومتاعه .

وبحكم طبيعة هذا الانسان وظروف معيشته البدائية فقد انقسم عمله الى قسمين : بسيط لا تشوبه الصعوبة والأخطار ، وشاق تفسر صعوبته وخطورته أساليب المعيشة والحماية . فكان للمرأة نصيبها الأول من رعاية المنزل ونقل الأمتعة وخلاف ذلك ، وكان للرجل الدفاع عن منزله والسعي وراء لقمة العيش . وهكذا ، فمن المحتمل أن تكون المرأة هي أول من نقل حملا من الأمتعة في تاريخ الانسانية . ولا تزال هذه الظاهرة أي الحمل على الرأس أو الظهر شائعة بين بعض الشعوب والقبائل .

ولما تمكن الانسان من تدجين الحيوان أخذ يستخدمه بدلا من عضلاته . وربما كان الكلب أول حيوان استخدمه الانسان في النقل فوجده خير مساعد وخير معين .

وتطورت الحياة ، فبدأ الانسان يفكر في تطوير وسائل النقل لديه لسد حاجته ، والحاجة أم الاختراع . وقد يكون الهنود الحمر في أمريكا الشمالية هم أول أمة قامت باختراع العربة التي يجرها الحيوان ، والقارب البسيط المصنوع من القش والحطب والقصب . وسارت الحياة الى الأمام ومشى الانسان في رحلته الطويلة برا وبحرا فاخترع السفينة الشراعية . ولكن طموحه لم يقف عند هذا الحد ، وحاجته الملحة تتفاعل

مع هذا الطموح لايجـاد وسائل أفضل فأخذت وسائل النقل تتطور تدريجيا بتطور مدارك الانسان ونظرته للحياة . فكلمـا ازدادت حاجاته ومتطلباته ، راح يخترع المزيد من الآلات لسد تلك الحاجات .

وقد كان لحدوث النهضة الصناعية عام ١٧٦٠م والأعوام التي تلتها، أثر فعال في تطوير الحياة وتطور المدنية بخطوات أوسع من ذي قبل حيث اخترعت السفن البخاريـة ، والسيارات المختلفة الأنواع ، والقطارات البخارية والديزل ، والطائرات بشتى أنواعها .. الخ .. كل هذه الوسائل مسخرة الآن لخدمة الانسان .

اذا فالنقل هو العمود الفقري لكل أمة، ووسيلة من أهم وسائل التقارب والتبادل بين الأمم ، وأحد المقومات الأساسية لتقدم الانسان البشري ونهضته في الحياة . فلولا تقدم وسائل النقل لما استطعت أن أكتب بقلمي هذا الذي صنع في أوربا ولا استطاع القراء الكرام قراءة هذا المقال في القافلة التي تطبع في الدمام بآلات صنعت في الغرب . ولولاه لما استطعنا أن نجلس على كرسي صنع من خشب مستورد من الفلبين .. ولولاه لما استطاع رجل في البلاد الباردة أن يسعد بالدفء المتولد من اشتعال أحد منتجات الزيت الذي تنتجه أرامكو فـي الأراضي السعودية . لذلك فبالنقل أصبح العالم أقرب من ذي قبـل ، وأصبحت المنافع المتبادلة أعم وأشمل .

النقل لدى أرامكو

ومن أضخم المنافع الحيوية المتبادلة التي شقت طريقها الى المملكة العربية السعودية هي صناعة الزيت التي كان للنقل بأنواعه الثلاثة (البري والجوي والبحري) يد فعالة في قيامها وازدهارها . وسنحصر موضوعنا هذا في النقل البري في منطقتي الظهران وبقيق فقط نظرا لأن قسم النقل في منطقة



سيارة من طراز « كنورث » تسحب صهريجا كرويا خاصا بأحد معامل فرز الغاز من الزيت في المملكة العربية السعودية .



إحدى عربات الرمال المستحدثة التي تستخدمها أرامكو في عمليات التنقيب .

رأس تنورة مستقل عن القسمين السالفين من الوجهة الادارية ، وعسى أن تكون لنا عودة أخرى للكتابة في الموضوع نفسه على نطاق أوسع .

والحديث عن النقل حديث شائك ، نلمسه من خلال الأعمال الكبيرة التي يقوم بها هذا القسم ، ولكننا سنحاول ، جهد المستطاع ، أن نضمن هذه السطور ما يهم القارىء .

يتكون هذا القسم من ثلاث شعب : اثنتان في منطقة الظهران ، وهما شعبة الأعمال وشعبة الصيانة والشعبة الثالثة في بقيق ، ويشمل عملها جميع ما يتعلق بصيانة معدات النقل واصلاحها بالاضافة الى عدد من الأعمال الأخرى المتعلقة بالنقل .

يتفرّع عن هذه الشُعَب ثلاث عشرة وحدة تسع منها في منطقة الظهران وهي : وحدة الشحن الخارجي ، ووحدة الشحن الداخلي ، ووحدة أعمال نقل الركاب ، ووحدة أعمال الروافع ، ووحدة وضع جداول النقل ، ووحدة خدمات الاصلاح ، ووحدة مرأب السيارات الخفيفة ، ووحدة مرأب السيارات الثقيلة ، ووحدة الاصلاحات الليلية . وأربع في بقيق وهي : وحدة شحن البضائع الداخلية والخارجية ، ووحدة نقل الركاب وتسليم البضائع ، ووحدة الروافع وتثبيت الأحمال ، ووحدة مرأب السيارات . ويتفرع عن هذه الواحدات فروع أخرى متعددة .

يعمل في قسمي الظهران وبقيق حوالي ثمانمائة موظف جلهم من العرب السعوديين . ولهذين القسمين أهمية كبرى في تنشيط الحركة والقيام بالأعمال اليومية لدى أرامكو . ويعمل هذان القسمان باستمرار خلال أيام الأسبوع تحت اشراف موظفين سعوديين يبلغ عددهم تسعة وأربعين مشرفا وتسعة مراقبين ، منهم واحد وثلاثون مشرفا



عربة ضخمة من طراز (KW-DART) استحضرتها (التابلاين) مؤخرا لنقل الطربينات التابعة لمحطات الضخ خلال فترات الصيانة الدورية ، ويبلغ طول هذه العربة ٣٥ قدما وارتفاعها ١٤ قدما .



برج الحفر في منطقة نائية عبر الصحراء قامت بنقله الى هناك قاطرات ضخمة . ويبدو حول البرج بعض المرافق الخاصة برجال التنقيب عن الزيت .



النقل الجوي يساهم مساهمة فعالة في ميدان النقل ، وتبدو هنا طائرة من طراز بوينج ٧٢٠ – بي التابعة لمؤسسة الخطوط الجوية العربية السعودية لدى اقلاعها من مطار الظهران الدولي .

وسبعة مراقبين في منطقة الظهران ، وثمانية عشر مشرفا ومراقبان في منطقة بقيق .

وتتم عملية نقل المواد والمعدات التابعة أو المتعلقة بأرامكو بواسطة مكتب وضع الجداول التابع لوحدة الأعمال بالظهران ، أثر تسلم موظفيه بيانا رسميا يشير الى نوع الحمولة والمكان المنوي نقلها اليه أو تحميلها منه ، وهناك يقوم موظفو هذا المكتب بدورهم بتجهيز المعدات والسيارات والطعام والشراب اللازم للموظفين الآخرين المعدين للرحلة ، معتمدين في ذلك على نوع الحمولة والمسافة والجهة المقصودة .

كانت النقل في بداية أعمال شركة أرامكو عقبة في طريق نموها ، لا سيما المعدات الثقيلة ، وذلك بسبب وعورة الطرق ، وعدم توفر الوسائل والاستعدادات اللازمة لمجابهة المصاعب في اجتياز المسافات البعيدة النائية . أما اليوم فقد تغير الحال وأصبحت عملية النقل في أرامكو أسهل بكثير مما كانت عليه فيما مضى وذلك بفضل الطرق المعبدة وتوفر المعدات الحديثة والوسائل والآلات الاحتياطية التي يلجأ الى استعمالها في الحالات الطارئة كالعطب أو الخلل الذي قد يلحق بأي من سيارات الشحن أثناء الرحلات .

لقد كان لتحسين وسائل النقل ومعداته في السنوات القليلة الفائتة أثر كبير في تنمية الحركة الاقتصادية . ومما هو جدير بالذكر أنه يوجد لدى أرامكو اليوم زهاء سبع وثلاثين شاحنة من الحجم الضخم ، تبلغ حمولة الواحدة منها ٨٠ طنا ، وهي تستعمل للنقل بين المناطق القاصية . كذلك يوجد لديها خمس وعشرون شاحنة من الحجم المتوسط ، وست وعشرون أخرى من الحجم الخفيف . هذا بالاضافة الى خمس وعشرين جرارة ، وثمان وأربعين رافعة ، وأربع وخمسين قاطرة ، وثمان من عربات الرمال ، وهذه الأخيرة حديثة الاستخدام في أرامكو وجميعها تعمل الآن في مناطق امتياز الشركة بالربع الخالي .

ويتبع قسم النقل بالظهران ورشة للصيانة ، وهي مجهزة بأحدث المعدات الخاصة بصيانة جميع أنواع سيارات أرامكو واصلاحها .

ولا يفوتني أن أذكر في هذه العجالة أنه بالاضافة الى المعدات ووسائل النقل الحديثة المتوفرة لدى الشركة ، فانها تستخدم عددا من سيارات الايجار التابعة لبعض المؤسسات المحلية . وقد بلغ عدد هذه السيارات المستأجرة التي تستخدمها أرامكو بين منطقتي بقيق والظهران ، حوالي ١٥١ سيارة ما بين حافلات وسيارات ركاب وشاحنات مختلفة .

وهكذا ، فقد أصبح النقل اليوم ميدانا عمليا واسعا ، ووسيلة هامة من وسائل حياة الانسان ، وضرورة لا بد منها في تأمين حاجاته ومتطلباته . فالنقل هو أحد المقومات التي تسمو بالأمم ، وجزء من مقومات الوجود الانساني الذي — لو فقد — لأصبح ذلك الوجود مشلولا كما كان منذ البداية .

علوي شرف هاشم

عربات السكة الحديد التابعة للحكومة العربية السعودية تحمل منتجات ارامكو من خزانات محطة بيع المنتجات في الظهران الى الرياض وضواحيها .





للشاعر انور العطار

الصداقة وردة لا شوك فيها

علمتني أن الصداقة كالور دة خلوا من شوكها وأذاها
تنفح الكون بالعبير ويحيي العالم الرحب عطرها وشذاها
ينضب الورد في الرياض ولا ينضب منها رواؤها ونداها
رب ذكرى صداقة عاودتني لم يزل يسعد الفؤاد صداها

السعادة عطر

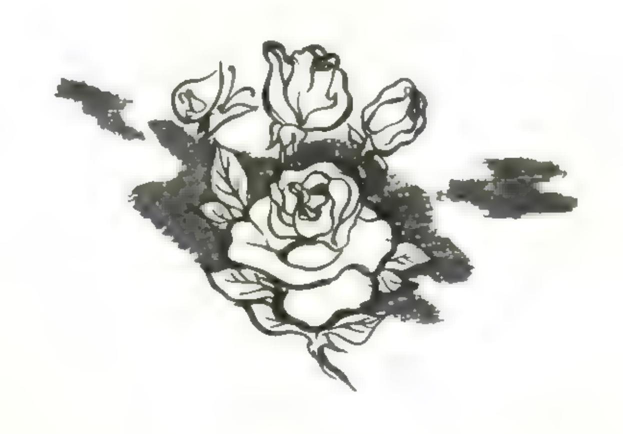
علمتني أن السعادة عطر لي شطر منها وللناس شطر
ان تفردت بالسعادة أشقتك وناب الفؤاد برح وخسر
واذا ما ذهبت تغنى بها الناس فما في غناك ما عشت فقر
والسعيد السعيد من ألف البر ولم يثنه عن البر أمر

الصراحة

علمتني أن الرياء اتضاع لا يرائي ولا يحابي شجاع
فتشبثت بالصراحة دهري هي طبعي وللنفوس طباع
وترفعت عن مخادعة الناس وكم أفسد الوداد الخداع
وكشفت القناع عن حر وجه لم يغيره منذ كان قناع

التكلف

علمتني أن التكلف لا يحسن صنعا ولا يجيد بيانا
يهدم الفن شر ما يهدم الفن ويمحو الابداع والاتقانا
كل من رامه عدا الأدب الحق ولم يرع للمواهب شانا
وتخلى عن ذاته وجفا الطبع ولم يسلك الطريق افتنانا



قصة قصيرة

عرق ودموع

بقلم الاستاذ سعد حامد



تسلمت الخطاب المسجل – الذي يحمل اسم مجلة واسعة الانتشار – من ساعي البريد ، ووقعت له على الايصال ثم دخلت الشقة وجلست على مقعد في الردهة ، وفضضت الخطاب .. ووقع بصري على شيك باسمي ، وقرأت الرسالة الرقيقة المرفقة به والموقعة بامضاء رئيس التحرير .

« نرجو قبول جزيل شكرنا على تفضلكم بموافاتنا بأقصوصتكم الأخيرة ، ونرفق طيه شيكا بمبلغ ... وذلك مكافأة رمزية لكم على هذه القصة . راجين افادتنا باستلامه » .

ووضعت الرسالة والشيك على المنضدة الصغيرة التي أمامي وابتسمت .. كان أول أجر تقاضيته عن قصة قصيرة نشرت لي في احدى المجلات الاسبوعية منذ خمسة عشر عاما هو مبلغ جنيه واحد ، ويومها شعرت بفرحة غامرة وأنا أوقع على كشف المكافأة وأستلم المبلغ .. كان أول مبلغ يدخل جيبي عن قصة لي بعد أن نشرت قصصا لا حصر لها بلا أجر . .

وأشعلت سيجارة ، وشردت مع أفكاري بينما كان يتناهى الى سمعي صوت زوجتي وهي تتحدث مع أطفالي في حجرتهم ..

• • •

فقدت أبي وأنا في السادسة من عمري ولم أدرك حينذاك انني فقدت جوهرة نادرة لا تعوض، ولا تستطيع كنوز العالم أجمع أن تقدم لي بديلا عنها، وكل ما أذكره منه صورة باهتة لا أستطيع تمييز ملامحها . ولعل هذه الصورة التي أحتفظ بها في ذاكرتي لم تكن من الواقع بل كان

للخيال فيها أثر كبير . ولعل صورته الفوتوغرافية التي كانت تحتل مكانا بارزا في غرفة الاستقبال من منزلنا قد تدخلت في الأمر فكونت لدي الخطوط الأساسية لملامحه ...

على أية حال أنا أذكره .. وأذكر انه عندما تقدمت بي السنون ، فانتقلت من دور الطفولة الى الصبا رأيت أمي في ثياب سوداء لا تستبدل بها لونا آخر ، وأذكر انها كانت دائمة الحزن لا يكاد يجيء ذكر أبي على لسان أحد من أشقائي حتى تتساقط دموعها في صمت وهي تترحم عليه وتذكره باعزاز ..

وترك لنا أبي معاشا يكفينا ، وخلف لنا في أحد المصارف مبلغا كبيرا من المال اشترت أمي به منزلا يقينا متاعب السكن ...

كان أبي كما حدثتنا أمي رجلا متزنا يرعى أسرته ويعرف حقها عليه ، ولم يكن ليفرط في هذا الحق ، فكان يعيش ما بين عمله وبيته رجلا كاملا بكل ما في هذه الكلمة من معنى . فلما افتقدناه احتلت أمي مكانه ، لأن أكبرنا كان في السابعة عشرة من عمره فلا يعرف من أمور دنياه الا الطريق الى مدرسته .. احتلت أمي مكانه فوقفت حياتها علينا ترعى شؤوننا وترشدنا الى الطريق السوي وتهيء لنا المستقبل ما وسعها ذلك .

أما عمي الوحيد فلم نره بعد ليلة العزاء ، فقد عاد الى بلدته ولم يكتب الينا الا مرة واحدة ثم كف عن ذلك . وبعثنا له بالخطاب تلو الخطاب لكنه لم يرد ، ولعله آثر أن يهرب بنفسه حتى لا تلقى على عاتقه مسؤولية هؤلاء اليتامى الذين خلفهم شقيقه وحيدين في مركب الحياة ...

ولم نكن بحاجة الى معونته المادية ، فقد كفانا الله ذل الحاجة ، لكننا كنا في أشد الحاجة الى شيء من الحنان ... الحنان وحده ... ومع هذا ضن علينا بهذا الحنان ولعله أقنع نفسه بأن ابنته الوحيدة الصغيرة هي صاحبة الحق فيه كله ... وهكذا ضمتنا أمي تحت جناحيها كما يضم الطائر فراخه ، ومنحتنا من عطفها وحبها ما أنسانا لوعة الحرمان من حنان الأبوة وعذاب الوحدة ، في مدينة واسعة ليس لنا فيها أهل أو أقرباء . ثم مرضت أمي ... ناء كيانها الضعيف تحت حملها الثقيل ، وبدأ الشحوب يطغى على محياها السمح المطمئن ، فلازمت الفراش .. كانت تنقل بصرها بيننا ... تتأمل وجه كل منا لحظة كأنما هي تحاول أن تحتفظ في ذهنها بصورته ... ثم ترسل بصرها الى سقف الحجرة وتحدق في لا شيء كأنها تعيش في عالم آخر ... وجاءت النهاية أسرع مما كنا نتصور ، فشيعناها الى مقرها الأخير ثم عدنا الى البيت ذاهلين محطمين ، فاذا هو مظلم خاو كأنما لم يسكنه من قبل انسان .

كنت حينذاك في الخامسة عشرة من عمري ، وبدا لي فقدان أمي كارثة ضخمة ، فقد كانت سندنا الوحيد . ومرت الأيام ... وبدا بوضوح أن البيت الذي يضمنا قد اضطرب نظامه وتفككت دعائمه ، فقد دب النفور بين أشقائي ، وكان كل منهم يتمسك برأيه ، ويصر عليه حتى ولو كان مخطئا ، ولا ينزل عند رأي الآخر ، ولم تلبث ان تقطعت بينهم أواصر الألفة . كنا نلتقي على مائدة الغداء فنأكل في صمت كأننا رواد مطعم لا يعرف أحدنا الآخر ، وكان يدور أحيانا بيننا نقاش ، ثم يتطور النقاش الى شجار ، فنغادر المائدة ونترك الطعام . وكان أخي الأكبر ينظر الى ما يحدث صامتا لا ينبس بكلمة ثم يدخل الى غرفته ، فأراه وهو يقرأ الصحف وكأن ما حدث لا يعنيه .

وانقطع الخيط الذي كان يربط بيننا . وكان الخصام بين أشقائي يمتد شهورا فلا يلقي أحدهم التحية على الآخر . كنا أشبه بمسافرين غرباء جمعت بينهم الصدفة في سفينة ضالة تمخر عباب المحيط بلا ربان .

وكنت في فجر شبابي بريئا يرى الحياة جميلة أخاذة مقبلة عليه . آمال حلوة تجيش بها نفسي ، وسعادة تبرق لي أنوارها من بعيد ، لكنني كنت أرى هذه الآمال الحلوة وهي تذوب وتضمحل في لهيب الكره الذي أعيش فيه ، وأرى أنوار السعادة ويد البغضاء تطفئها واحدا أثر الآخر . وعشت حائرا يضمني بيت مشحون بالكراهية تنتشر سمومها في كل نواحيه ، فمضيت أنشق منها وأشرب . وتحولت حياتي من النجاح الى الفشل ، ومن الأمل الى اليأس ، ومن النور الى الظلام . وما عدت أؤمن بشيء جميل بل احتقرت الدنيا والناس ، وكرهت كل شيء ، وامتدت كراهيتي الى نفسي فكرهتها وتمنيت لو أستطيع أن أتخلص منها لكنني لم أستطع أن أفعل ...

وانشققت على نفسي ، فتارة أنا ساخط وتارة أنا راض . واضطربت موازين الأشياء عندي فأصبحت أتخبط ، وأضحت حياتي أشبه بالشراب الفاتر الذي لا تجد فيه لذة المثلوج ولا حرارة الساخن . وتعثرت خطواتي وفشلت في دراستي نتيجة لهذه الحياة المضطربة فتركت الدراسة ، والتحقت بوظيفة حكومية .

ثم تزوج أخي الأكبر وغادر البيت الى مسكن آخر وتركنا وحدنا . ثم شغلته زوجته عنا ، ولم نعد نراه الا لماما ...!

وكنت أريد أن أنسى همومي وأحزاني فاتجهت الى القراءة. بدأت أقرأ كل ما يقع تحت يدي من كتب ، وأسهر الليل غارقا بينها أقرأ حتى أرى الكلمات ترتعش أمام بصري وتبدو صفحة الكتاب باهتة كأن الضباب يغشاها.

وتناولت قلمي وكتبت أول قصة .. ثم أخذت أكتب كالمحموم فقد كانت أعماقي مشحونة بأحزان عميقة ، وكنت أريد أن أتحرر من هذه الأحزان عن طريق الكتابة . وقررت أن أصبح كاتبا . وشرعت أتصل بالمجلات والصحف لأنشر تلك القصص . وذات يوم ذهبت الى احدى الصحف لأقدم قصة فقال لي « الفراش » وعلى شفتيه ابتسامة تقليدية :

— آسف جدا يا سيدي . رئيس التحرير مشغول . ألا ترى سيادتك النور الأحمر المضاء فوق باب حجرته ؟ ورفعت عيني أتطلع في مرارة وألم الى المصباح الأحمر الصغير الذي يعلن أن رئيس التحرير مشغول . كانت المرة الثالثة أو الرابعة التي أحاول فيها مقابلة رئيس التحرير وأفشل . كان المصباح الأحمر مضاء دائما . تارة هو مشغول بمقابلة مسؤول أو كاتب كبير ، وتارة هو يكتب مقاله الاسبوعي ، وكنت في كل مرة أعود الى الطريق مطرقا ، في صدري أمل يحتضر ، وفي يدي مظروف به قصتي . وقلت « للفراش » والأمل يتحرك في صدري : ألا أستطيع مقابلة مدير التحرير ..؟

فقال في نفاذ صبر : انتظر لحظة . سأسأل ان كان وقته يسمح بالمقابلة .

وتركني لحظة ثم أقبل يقول : انتظر قليلا ريثما يفرغ مما في يديه من عمل .

وجلست أنتظر ، وطال الوقت ، وتململت في جلستي ، ونظرت الى الفراش في رجاء ، وذهب الرجل وجاء ، وقال لي في ضيق : تفضل يا أستاذ .

ودخلت الى حجرة مدير التحرير .. كان جالسا الى مكتب فخم ، والى جانبه على منضدة

زجاجية ثلاثة تليفونات ، وأمامه أكداس من المقالات وبيده سماعة تليفون . ولم يدعني للجلوس فظللت واقفا حتى انتهى من حديثه . فألقيت عليه التحية فرد تحيتي ونظراته على ورقة أمامه ثم قال دون أن يرفع عينيه اليّ : أي خدمة ...؟

فقدمت له قصتي في خجل واضطراب ، وتطلعت اليه في حيرة وأمل ، فتصفح الأوراق بسرعة وقال لي بلا اكتراث : أنا قرأت لك قصة قدمتها من قبل . وأصارحك بأن عندنا أكداسا من القصص الجيدة لكننا مرتبطون مع كتاب معروفين ، فمعذرة .

تناولت منه قصتي وخرجت الى الطريق مطرقا . وتكرر هذا المشهد مرات كثيرة في مجلات وصحف أخرى . وظل الأمل ينبض في صدري رغم هذه الأمواج الكاسحة من اليأس .

كنت أسهر الليل أقرأ وأكتب ، وكان عرقي يختلط بدموعي . وكنت أتردد على دور الصحف وأقابل دائما بالبسمات التقليدية الباردة وبالاهمال والكبرياء ، وبالمصابيح الحمراء المضاءة فوق حجرات رؤساء التحرير ، وبالأبواب المغلقة . لكنني لم أيأس . كنت أعاود الطرق على تلك الأبواب في اصرار . ونشرت بعض قصصي بمجلات مغمورة ، ولم أمنح عنها أجرا ، وطبعت على نفقتي ثلاثة كتب خسرت كل ما دفعته فيها من مال ، وأهديت نسخها الى أصدقائي ومعارفي . كنت أحمل النسخ في حقيبة وأوزعها على المكتبات كأمانة ، وبعد شهور أمر على تلك المكتبات فأجد نسختين قد بيعتا من هذه المكتبة ، أو ثلاث نسخ من تلك ، فأتقاضى ثمنها بعد خصم أربعين في المائة عمولة للمكتبة . وحاولت أن أنشر قصصي في صحيفة صباحية مشهورة . فرفضها كاتب معروف اذ كان النشر مقصورا على خاصته وأصدقائه المقربين .

لكن رغم كل هذا لم يعرف اليأس طريقه الى نفسي ، وعاودت الطرق . وذات يوم صدرت صحيفة يومية جديدة فاتخذت طريقي اليها ، وهناك استطعت أن أقابل رئيس القسم الأدبي فيها ، وكان أديبا مرموقا ورجلا جادا طيبا . وقابلني بوجه باش ، وتحدث اليّ في حنان ، وتسلم قصتي في عناية ووعدني بقراءتها وغادرته وقلبي يخفق بالأمل .

ومرت الأيام ... وذات صباح فوجئت بقصتي منشورة على الصفحة الأخيرة من الصحيفة الصباحية المشهورة ولما رأيت اسمي دمعت عيناي ، وسرت في الطرقات أضحك وأبكي من فرط احساسي بالسعادة . وفي المساء ذهبت الى دار الصحيفة لأشكر الرجل ، وقبل أن يرد على كلمات الشكر التي انهالت من فمي قال لي في حنان جم : أين قصتك الأخرى ؟ هات لي في الغد قصة أخرى ، أنت كاتب موهوب يا بني . لقد قرأت قصتك أكثر من مرة وأعجبتني كثيرا .

وخرجت من عنده والدنيا لا تسعني من السعادة . واتخذت قصصي طريقها الى النشر على صفحات تلك الصحيفة الكبرى بلا واسطة أو صداقة ، ولأول مرة منحت على قصصي مكافآت مجزية .

وظللت أكتب وأكتب ، ونشرت قصصي في مجلات وصحف أخرى ، وكنت أتقاضى عن القصة القصيرة عشرة جنيهات ، وأكتب في الشهر بضع قصص ثم ارتفع الأجر ، ونشرت دور النشر المعروفة مجموعاتي القصصية ، وأصبحت أربح كثيرا من نتاج قلمي ، ولمع اسمي واستقرت حياتي .

عدت مساء يوم الى البيت فوجدت فيه شخصا لم أتوقع رؤيته قط . وجدت عمي وابنته . تذكرنا بعد هذه السنين فجاء ليسأل بعد ان صرنا رجالا ..! ورأيت ابنته وقد أصبحت فتاة جميلة أخاذة ، وخالجني نحوه شعور غريب هو مزيج من الحب والبغض ، ومضى ينقل بصره بيننا وهو يسأل كلا منا عن عمله ومرتبه . ورأيت في قسمات وجهه ما ذكرني بوجه مراب يبحث عن صفقة ، وأدركت انه جاء ليختار لابنته زوجا من بيننا . وابتسمت ساخرا وأنا أستمع اليه وهو يتحدث عن الروابط العائلية التي يجب أن تكون بين الأهل ، وتذكرت في ألم مرير موقفه منا . وقضى بيننا يومين حتى أدرك الرجل وهو يتطلع الى وجوهنا الجامدة اننا لم ننس الماضي ، وان الأمل الذي جاء يسعى وراءه قد تلاشى فلا رجاء . ثم استأذن في الرحيل ، فودعناه وداعا كريما ، ورافقته الى المحطة .

وقفنا ثلاثتنا — عمي وابنته وأنا — على الرصيف ننتظر القطار ، وكان الوقت مساء ، والمحطة تبدو حزينة يقبض مشهدها القلب . كانت مصابيحها مختنقة شيئا ما . لست أدري ما السبب .. ولعله كان في نفسي . وكنا صامتين . كل منا مشغول بأفكاره . وكنت أحس بالحيرة ، وكان قلبي يختلج في صدري من معاني الفرقة التي تشيعها في نفسي محطة العاصمة كلما رأيتها .

واحسست أني غريب في الدنيا .. وفجأة وقعت عيني على محيا ابنة عمي الجميل ، ورأيتها ترمقني بنظرة كلها الحنان ، وشعرت بغصة في حلقي ، وأحسست بهذه النظرة الحانية تريح أعصابي المشدودة ، وبقلبي ينبض بالحنان .

وجاء القطار ثم مضى بهما واختفى في جوف الليل ، وغادرت المحطة وخرجت الى الميدان الفسيح ، وقفلت عائدا وأنا أستعيد النظرة التي طالعتني بها الفتاة على رصيف المحطة . كم كانت تصلح بذرة جيدة لشجرة الحب لو أنها وجدت حقلا خصيبا أرض طيبة ثم جوا ملائما من التفاهم .

حاولت في الأيام التالية أن أنسى موقف عمي منا ونحن صغار . حاولت جاهدا أن أنساه . وكانت صورة وجه ابنته الجميل والنظرة الحنون التي تبادلناها ونحن واقفان على رصيف المحطة لا تكاد تغيب عن مخيلتي ، وكنت أفكر في الزواج كشيء مكمل لحياتي ، وبدا لي أن ابنة عمي هي خير فتاة تصلح لي . لكن الموقف الأليم الذي وقفه عمي منا كان ما زال يحز في صدري كالسكين .

وذات ليلة ظللت مسهدا حتى الفجر وصورة ابنة عمي تبدو أمام عيني ونظرتها الحانية تلح عليّ في اصرار كأنما تطلب مني الصفح . ومن أجلها قررت أن أصفح عن الماضي .

وفي الصباح ركبت أول قطار الى البلد ، وقابلت عمي ، وصارحته برغبتي فوافق .

وتزوجت ابنة عمي ، وعدت بها الى القاهرة ، وعشنا في سعادة ورزقنا ثلاثة أولاد .

• • •

أقبلت زوجتي باسمة تسألني لماذا أجلس وحدي وفيم أفكر ، فقلت لها كالشارد : لا شيء ثم ابتسمت وأنا أقول :

أنت تعرفين فيم أفكر .. أفكر في موضوع قصة جديدة ...!

ثم تناولت الرسالة والشيك من على المنضدة أمامي وقدمتها اليها وأنا أقول : تفضلي هدية العيد لك وللأولاد . ناوليني قلما لأوقع على ظهر الشيك وأذهبي في الصباح الى البنك فاني مشغول في كتابة قصة جديدة ...

تتمة المقال المنشور على صفحة (٢)

روى الطبراني بسنده قال: (خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فأثنى على طوائف من المسلمين خيرا، ثم قال: «ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ولا يعلمونهم ولا يعظونهم ولا يأمرونهم ولا ينهونهم؟! وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتعظون؟!. والله ليعلمن قوم جيرانهم ويفقهونهم ويعظونهم ويأمرونهم وينهونهم، وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتفقهون ويتعظون أو لأعاجلنهم العقوبة!!» ثم نزل، فقال قوم: من ترونه عني بهؤلاء؟ قال: الأشعريين، هم قوم فقهاء ولهم جيران جفاة من أهل المياه والاعراب، فبلغ ذلك الأشعريين فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله، ذكرت قوما بخير وذكرتنا بشر فما بالنا؟! فكرر عليهم ما قاله في خطابه آنفا، فقالوا له: ايانا عنيت، فأعاد عليهم القول نفسه، فلما تأكدوا انه عناهم قالوا: أمهلنا سنة، فأمهلهم سنة ليعلموا جيرانهم ويفقهوهم).

على المسلم اذن كفريضة لا مجال فيها للاختيار، أن يطلب العلم ولو في الصين، وعلى الدولة المسلمة أن تيسر لمواطنيها كل سبل العلم، ثم على المسلم المتعلم أن يتعهد بعلمه أخوانه في الانسانية ليزيح عن أبصارهم غشاوة الجهل، ويفتح أمامهم أبواب المعرفة، ومن ثم لم يكن للمسلمين عذر اذا تأخروا وتقدم الناس، وهذا مكان العلم في دينهم.

• • •

واني لأتذكر دائما حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الأشعريين، كلما جاءت العطلة الصيفية وبدأت شكوى طلابنا من أوقات الفراغ، وتتالت مقترحات كتابنا وصحفنا لحل هذه المشكلة، فأسائل نفسي: لِمَ كل هذه الحيرة وهذا ديننا قد أوضح لنا السبيل؟

لقد بدأت وزارة المعارف منذ حوالي سنتين في اعداد خطة لمكافحة الأمية في المملكة. فلماذا لا يحتشد أكبر عدد من طلابنا لخدمة هذه الخطة، وللتدريس في جميع مراكز محو الأمية؟ ولماذا لا يتوجه عدد منهم الى مضارب البدو الذين يشكلون قطاعا كبيرا من الشعب ليؤدوا للوطن خدمة من أجلّ الخدمات، ويقوموا في الوقت نفسه بفريضة من أقدس الفرائض بتعليم أخوانهم في الدين..

ذلك هو أفق كريم من آفاق التكافل في الاسلام، ما أجدره أن يبعث من جديد في هذه الرحاب مهبط الوحي وموطن القداسات.



• قال الفضيل بن عياض: يا ابن آدم، انما يفضلك الغني بيومين! أمس قد خلا. وغد لم يأت، فان صبرت يومك أحمدت أمرك، وقويت على غدك. وان جزعت يومك أذممت أمرك وضعفت عن غدك، وان الصبر يورث البرء، وان الجزع يورث السقم، وبالسقم يكون الموت، وبالبرء تكون الحياة.

• وعظ عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا فقال: لا يلهك الناس عن نفسك فان الأمر يصير اليك دونهم، ولا تقطع النهار سادرا فانه محفوظ عليك ما عملت. واذا أسأت فأحسن، فاني لم أر شيئا أشد طلبا ولا أسرع دركا من حسنة حديثة لذنب قديم.

• قال الحسن البصري: ليس الايمان بالتمني ولا بالتحلي، ولكن ما وقر في القلوب، وصدقته الأعمال.

• قال بعض العلماء: لست أطلب العلم طمعا في بلوغ غايته، والوقوف على نهايته، ولكن التماس ما لا يسع جهله، ولا يحسن بالعاقل اغفاله.

• قال آخر: أقصد من أصناف العلم الى ما هو أشهى الى نفسك وأخف على قلبك، فان نفاذك فيه على حسب شهوتك له وسهولته عليه.

• قال حكيم: اذا أقبلت الحكمة خدمت الشهوات العقول. واذا أدبرت خدمت العقول الشهوات.

• قال أحد الحكماء: كل قول ليس لله فيه ذكر فهو لغو. وكل صمت ليس فيه فكر فهو. وكل نظر ليس فيه اعتبار فلهو.

• قال الأحنف بن قيس: لا صديق لمتلون، ولا وفاء لكذوب، ولا راحة لحسود، ولا مروءة لدنيء، ولا زعامة لسيء الخلق.

• قال عامر بن عبد القيس: اذا خرجت الكلمة من القلب دخلت في القلب، واذا خرجت من اللسان لم تتجاوز الآذان.

• قيل: ثلاثة تورث ثلاثة: النشاط يورث الغنى، والكسل يورث الفقر، والشراهة تورث المرض.



مارك توين

بقلم الاستاذ عزت محمد ابراهيم

لا أكاد أجد بين من قرأت عن حياتهم من العظماء ، من لا تعترض حياته مصادفة توجهه الى وجهة غير مقدر لها ، أو غير منتظر منها ، وأصبحت عبارة « نقطة التحول » مألوفة معروفة في سير هؤلاء الناس لا تثير دهشة ، ولا تبعث على استغراب فكأن المصادفة أصبحت قاعدة في حياتهم يصح معها أن نبحث عن مدلول آخر لها عكس مدلولها الذي ألفناه ، والذي تدل عليه ، فتصبح هي الاتفاق وما عداها هي المصادفة ، فيكون من المصادفة أن يوجه أحد من الناس — في بدء حياته — وجهة معينة فيصل الى منتهاها هادئا مطمئنا محققا ما أمل له ذووه من خطة وما رسموه له من نهج ، فيقال ان ذلك كله كان من قبيل المصادفة ولم يكن من تدبير الاتفاق .

ومن المحقق أن مارك توين لم يكن يظن في بدء حياته أن يصبح ذلك الأديب المشهور المعروف الذائع الصيت . ولو أنبأه أحد بذلك لسخر منه وهزيء من قوله ، فقد اشتغل عاملا في مطبعة ، وعاش صدر حياته مغامرا يحب التنقل والأسفار ، وعشق النهر فدفعه عشقه هذا الى الرغبة في قيادة سفينة تمخر عبابه ، وكان من الجائز أن يستقر في عمله ذاك ، ويمضي فيه الى النهاية فهو لم يتلق العلم في مدرسة أكثر من سنوات معدودات فلا غرابة حينذاك أن يكون عمله في قيادة السفن النهرية غاية مبتغاه . ولكنها المصادفة .

يقولون انها مصادفة ألقت في طريقه بورقة من كتاب عن حياة « جان دارك » قرأها فخلبت لبه ، واستحوزت على اعجابه ، فمضى يقرأ عنها كل ما يقع تحت يده من سيرتها حتى استوعبها وألف عنها فيما بعد كتابا كان آثر كتبه عنده وأقربها الى قلبه . انها مصادفة حقا .

ولكنها مصادفة ليست ككل المصادفات ، فما أكثر ما تقع مثل هذه الأوراق في أيدي أناس كثيرين يلقي بها بعضهم الى الطريق حيث وجدها ، ويقرأها آخرون فلا تترك في نفوسهم أثرا ولا في حياتهم تحولا .

هي مصادفة على حد هذا الاعتبار ، ولكنها ليست كذلك بالنسبة لاعتبارات أخرى من حيث أن هذه الورقة تقع في يد مارك توين بالذات . وهو الذي عرف بالانسياق وراء الأحلام ، والاندفاع وراء الخيال ، كما عرف بالظرف واللطف وحب النكتة والبادرة السريعة والسخرية في القول ، وهي عوامل لا ينكر أثرها في تكوين نفسية أديب أو فنان ، بالاضافة الى ما أتاحه له عمله في الطباعة من رغبة — ظاهرة أو مخبوءة — في أن يصبح يوما ما كاتبا مرموقا يحظى بالشهرة والاعجاب كما يحظى بها هؤلاء الذين يكتبون في الصحيفة التي كان يعمل في مطبعتها .

ولولا ذلك لذهبت المصادفة أدراج الرياح كما تذهب كل يوم آلاف منها لا تغير وجها ولا تبدل أمرا . تلك أشياء خطرت في نفسي وأنا أهم بالكتابة عن مارك توين .

وقبل المضي في الحديث عنه علينا أن نعرف أن هذا الاسم الرنان المدوي في عالم الأدب والكتابة ليس الاسم الحقيقي له ، بل ليس من الأسماء التي يتسمى بها الناس في وطنه . وانما كان يتخذه كاسم مستعار لما كان ينشره فاشتهر به حتى طغى على اسمه الحقيقي فتوارى خلفه .

ولم يكتب مارك توين سيرة مفصلة لحياته وانما كتب أطرافا منها على غير نسق أو ترتيب ، وأملى أطرافا أخرى منها على « ألبرت بيجلوبين » فدونها في كتاب ، وكتبت عنه ابنته كلارا كتابها « أبي مارك توين » . وبعد ما كتبه هو وما كتبه عنه غيره ، نستطيع أن نعرف حياته من قصصه وأعماله الفنية ، وقد يكون الفيلسوف أو السياسي أو المصلح الاجتماعي في حاجة الى أن يترك سيرة لحياته يقرأها الناس ويستنفعون بها ، أما الكاتب المبدع أو القاص الفنان فأغلب الظن انه ليس في حاجة ماسة الى ذلك . فأكثر قصصه وكتاباته هي بضعة منه مستوحاة من حياته أو من حياة من اتصل بهم من الناس والصحاب . قد يغير فيها الأسماء والأماكن وقد يضفي عليها ما ليس فيها ، ويلبسها غير لبوسها ، ولكنها لا تخفى كل الخفاء ، وتكفي اشارات قليلة منه لكي يظهر كل شيء فيها على حقيقته . وهكذا كان مارك توين . وهكذا يكون كل فنان .

قصة صباه هي قصة « مغامرات توم صوير » وتوم صوير هو نفسه سام كليمنس أو مارك توين ، وسان بترسبرج هي بلدة هانيبال مسرح صباه ، ومهوى فؤاده . قضى مارك توين صباه في هانيبال يسمع دوي الرصاص ، ويرى القتلى يتناثرون في الطرقات يلقون حتفهم لأتفه الأسباب وأهون الأمور . وكيف كان يتسنى له أن ينسى ذلك اليوم الذي هرب فيه من توبيخ أمه ، وعقابها المنتظر على فراره من المدرسة ، فآثر أن يتسلل الى مكتب أبيه يتخذ منه مأوى له ومنجاة من العقاب ولا يكاد يستلقي على أريكة فيه ، وتعتاد عيناه الرؤية في الظلام الذي يغشى جوانب الغرفة حتى يلوح له شيء لا يتبينه أول الأمر . ولكن عندما تسرب ضوء القمر من نافذة الغرفة رأى ذلك الشيء ، لقد كان جسم انسان قد اخترقته رصاصة أودت بحياة صاحبه .

تلك صورة مفزعة مرعبة يراها صبي في التاسعة من عمره تستقر في نفسه حتى يحين الأوان يستمد منها مادة قصته « البسطاء في الخارج » .

وعلى مثل هذا النحو من صور المغامرات والمفاجآت وحوادث القتل والغرق في نهر المسيسبي قضى مارك توين صباه . أما مسقط رأسه فلوريدا التي كانت عائلته تزورها بين وقت وآخر ، فقد عرف فيها العم دانيال ذلك العبد الطيب القلب الذي كان يقص على الصبية حكايات لا ينضب لها معين وقد ترك في نفسه ، وهو وحكاياته ، انطباعات تمخضت عن قصته « هكلبري فن » .

وكان على مارك توين وهو في سن مبكرة (لا تكاد تجاوز الحادية عشر) أن يسهم مع أخويه أوريون وهنري في اعالة أسرته بعد وفاة أبيه . فاشتغل موزعا لصحيفة « الجازيت » في هانيبال وقت فراغه من الدراسة ثم انقطع عن الدراسة ليشتغل في مطبعة تصدر صحيفة «ميسوري كورير » يصف فيها الحروف على ضوء شمعة خافتة ويدير آلة الطباعة بيده ، ويطوي أعداد الصحيفة ويحمل البعض منها الى البريد لارساله الى المشتركين . ثم شارك أخاه العمل في مطبعة يملكها ويصدر منها صحيفة ، وواتته الفرصة حينذاك لتجربة موهبته في الكتابة المرحة الخفيفة الظل التي عرف بها ، فبدأها وهو في الخامسة عشرة من عمره .

ومن العسير الالمام ، في مقال واحد ، بجميع الأعمال التي اشتغل فيها ، والرحلات التي قام بها والسفن التي قادها ، وما تقلب فيه من فقر وما قاسى من شظف وما عانى من متاعب ، فذلك يستغرق شطرا كبيرا من حياته ، يطول وصفه والخوض فيه ، ولا يتيسر منه غير الاجمال السريع والاشارة المقتضبة .

وربما كانت قيادة السفن أحب الأعمال التي مارسها مارك توين وأقربها الى قلبه وأجزلها ربحا ، ومنها استقى مادة كتابه « الحياة في المسيسبي » ولكن الحرب الأهلية وضعت حدا لعمله فيها فانصرف عنها .

ومن ميزات أصحاب الفكاهة والروح الساخرة انهم لا يفقدون سخريتهم في أحلك الأوقات وأشد الظروف حرجا ، بل لعل تلك الروح تزداد حدة كلما تعقدت الأمور وتكاثف الظلام أمام أعينهم . وكان مارك توين يشتغل في التعدين بحثا عن الذهب أو الفضة مع جماعة من المغامرين الساعين وراء الثراء ، وكانوا كلما مضوا في البحث والتنقيب كلما خبا نور الأمل أمام أعينهم واعتراهم اليأس فأطبق عليهم اطباقا . ووسط هذا الجو الحالك القاتم أخذ مارك توين « يتسلى » بالكتابة عن حياة المناجم ، واتخذ مما يلقى الناس فيها من آلام وآمال مادة لسخريته ، وأخذ يرسل ما يكتبه الى صحيفة « ديلي تريتوريال انتربريز » التي تصدر في فرجينيا وهي اذ ذاك أقوى صحف نيفادا فتلقى كتاباته فيها الرواج والقبول .

وتضيع منه أحلام الغنى والثراء بعد أن تراءت كسراب خادع فيضطر الى العمل كأجير في مصنع للتعدين طيلة نهاره لقاء عشرة دولارات في اليوم ثم يأتيه الفرج بعد ذلك في رسالة من الصحيفة التي يرسل اليها كتاباته تعرض عليه العمل بها ، ويستخفه الفرح فيغني ويطرب ويطلق

الصفير من فمه مرحا فرحا تتراءى له أحلام جديدة ، وتبدو أمامه فسحة أخرى من أمل يرجوه من الصحافة والكتابة بعد أن أدبر عنه أمل الغنى في التعدين .

ولكن تكذبه آماله هذه المرة فقد طلبت اليه الصحيفة أن يملأ عمودين يوميا من الأخبار المحلية . ويتطلع مارك توين حوله فيرى فرجينيا مدينة تموج بالحركة وتضطرب بالحياة أما الثروات فتفيض منها وتتدفق على الناس فيها أو تهبط عليهم هبوطا على غير توقع أو انتظار . قد يمضي الواحد فيهم ليله فقيرا ليصبح من أصحاب الغنى والثراء . فهذا عامل تقع بين يديه برقيات البيع والشراء وأثمان الأسهم في المناجم فيبيع ويشتري على هديها ليقبض أرباحا بعد شهور قليلة تبلغ عشرات الألوف من الدولارات .

وكانت مثل هذه الموضوعات مادة طيّعة لأسلوب مارك توين الهازل الساخر فأحبها الناس وأقبلوا على قراءتها ، واشتهر اسم صاحبها واحتل مكانه المرموق في عالم الصحافة ، وبدأ كأن الحظ قد ابتسم له وأنهى ما كان بينهما من جفاء ، ولكنه يضطر الى مغادرة نيفادا الى كاليفورنيا هربا من خطأ تورط فيه يعاقب عليه قانون الولاية بالحبس. ولم يصبه يأس ولم يداخل نفسه قنوط ، فجعبته ملأى بأسهم وحصص المناجم. وهو يرجو أن يجد لها سوقا رائجة في كاليفورنيا . وبدت له الآمال رحبة فسيحة وهو يرى أسعار أسهمه ترتفع ارتفاعا مستمرا يأبى معه البيع حتى تصل الى أقصى حد من الارتفاع ، وتصل اليه فعلا ولكن لتهبط فجأة بعد ذلك الى الحضيض وتستقر فيه .

ويصيب مارك توين الافلاس وتتراكم عليه الديون ، ويبقى بلا عمل قابعا في فندق متواضع لا يريد لأحد أن يراه ، ثم يستقر على ترك آماله الخادعة الكاذبة في التعدين وما وراءه من أحلام الغنى وأماني الثراء ، ليتجه الى سان فرانسيسكو في طريقه الى جزر هاواي يكتب عنها لصحيفة « ساكرامنتو يونيون » كتابة ، كعادته ، تأخذ بمجامع نفوس قرائها ، ويدفعه ذلك النجاح الى رحلة الى فلسطين يكتب عنها في صحيفة « الديلي ألتا كاليفورنيا » .

لقد أحب مارك توين الرحلات واستهوته المناظر الطبيعية ومخالطة الناس والكتابة عنهم وهو يجد في رحلاته تلك ما يحقق له رغباته ويحقق له في الوقت ذاته الربح والمال الوفير . وعرف آخر الأمر طريقه واستقر على نهج سوي يكتب للصحف ويقوم بالرحلات وقد ودع حياة الشظف والتقلب بين الأمل واليأس والسعادة والشقاء ، وطبقت شهرته أنحاء الولايات المتحدة وانتقلت منها الى بريطانيا وأنحاء أوربا فأصبح مهوى أفئدة القراء فيها ومثار اعجابهم ومبعث تقديرهم .

لقد كانت الحياة الصعبة التي عاشها مارك توين في صدر صباه جديرة بأن تهوي بغيره الى مهاوي اليأس والقنوط . وقد أضافت الأقدار الى ذلك موت أحباء له الواحد تلو الآخر كان يسعد بلقياهم والثواء الى جانبهم ، ولكن كان له من قوة الروح وصلابة الارادة ، وموهبة السخرية ما جعله يتخذ من حياته تلك مادة للسخرية والتندر ، درت عليه جزيل الربح وأتاحت له واسع الشهرة . وهو لا يسخر من غيره فحسب بل يسخر من نفسه أيضا ، لقد أزمع على إلقاء محاضرة في سان فرانسيسكو فكتب في رقاع الدعوة اليها « ان الأبواب ستفتح في الساعة السابعة والنصف لتبدأ المتاعب في الساعة الثامنة » . أما هذه المتاعب التي أشار اليها فهي تلك التي كان يضج المستمعون منها ضحكا تنتقل موجاته موجة اثر أخرى بين صفوفهم . لقد كان ممثلا بطبعه وسليقته يدفع الناس دفعا الى الضحك والاغراق فيه ، وينتزعه انتزاعا من أكثر الناس صلابة وجمودا . ويصف صديقه وليم هاولز طريقته في محاضراته بأنه كان يدرسها دراسة جيدة بحيث يصل أثرها أولا الى الصفوف الأولى فتثير فيها موجة سريعة من الضحك تنتقل منها الى الصفوف التي تليها حتى تصل الى هدير عال من التصفيق في الصفوف العليا من قاعة المحاضرة . وكان تدخين السيجار عند مارك توين وهي عادة اعتادها منذ صباه . وقفت هذه العادة عقبة في سبيل زواجه من الفتاة التي أحبها حين أصرت هي وأسرتها المحافظة على ضرورة تركه لعادته المستهجنة ، وعبثا حاول اقناعهم بمختلف الحجج ، وتوسط الوسطاء فأقنعوه بتدخين سيجار واحد في اليوم ، ولم يكن ذلك بالذي يكفيه أو يرضي نهمه منه ، فسعى بعد أسبوع واحد من هذا القرار الى شراء سيجار أكبر حجما مما اعتاد تدخينه ثم الى أكبر منه وأكبر حتى كان يصنع له سيجار خاص به أكبر من المعتاد ويقول هو : « ان حجم السيجار ظل يكبر ويكبر حتى تناهى في الضخامة طولا وعرضا وأصبح خليقا بأن يكون عصا أتوكأ عليها » .

وعندما تم زواجه وأعد والد زوجه مفاجأة سارة للزوجين تتمثل في بيت عظيم البناء فاخر الرياش ، نظر اليه مارك توين في دهشة واستغراب والتفت الى والد عروسه قائلا : « حسنا ، تستطيع أن تنزل في ضيافتنا كلما زرت مدينة بافالو فلن أتقاضى منك أجرا » . واذ استقر به المقام وزوجه في هذا البيت كتب الى أبويها يصف لهما حسن قيامها على شؤون البيت ومقدرتها على الطهو واعداد الطعام قائلا : « لقد أعدت اليوم صنفا من السمك المقلي يثير الشهية الى درجة أننا ادخرنا كل قطعة منه لنتصدق به على الفقراء » . وعلى هذا النحو من الفكاهة والسخرية اللاذعة تحدث عن سيسل رودس في كتابه « في أثر خط الاستواء » مبديا به الاعجاب والتقدير الى الحد الذي ينوى معه شراء قطعة من الحبل الذي سيشنق به على سبيل التذكار .

لقد كان يتخذ من الفكاهة والتندر سلاحا فتاكا ضد ألوان التفرقة العنصرية التي رآها في بلاده آنذاك ، فحارب بها جحافل عظيمة الخطر من آراء بالية ، ونظم فاسدة. كانت الفكاهة عنده كما وصفها دي فوتو « كالجدول الرقراق الذي لا ينقطع جريانه ، انه يضحك ومع ذلك فلأول مرة نجد الأدب الأمريكي يضم ضحكا مفجعا » . ولا جرم بعد ذلك أن يطلق الناس عليه لقب « فولتير أمريكا » وان يعده « برناردشو » هو و « ادجار ألن بو » بأنهما أكبر عباقرة أمريكا ، وان يصفه « كبلنج » أيضا بأنه أعظم رجل أنجبته أمريكا وأن « سر فانيتس » الساخر كان من أقربائه » .

أين السعد؟

للشاعر محمد ابراهيم جدع

حدثتني النفس في اطفالها ... فرأيت الصفو في ايمالها
وبدت لي في مناهي قصة ... فالهمت النفس في ابحالها
أينا أسعد حالا يا ترى ... بين دنيا الناس في أجوالها
من رعى المال وعاش لا يرى ... غير جمع المال من أشيائها
أو فتى يستنكر الشر وما ... يبعث الشر على ارجالها
منح المال ذوي القربى ومن ... يستحق البذل من احيائها ؟

• • •

هذه عندي فراشات مشت ... حرة تسعى الى اقبالها
فتمنيت لنفسي فسحة ... مثلها تسعى الى عليائها
حرة في سعيها في شأنها ... خلصت بالعز من بلوائها
وتنبهت من النوم فما ... وجدت نفسي سوى اعبائها
ثقلت حتى تناهى حملها ... وتجلدت على إيذائها
غير أن النفس ضاقت بالذي ... يقلب الأوضاع من نعمائها
أينا أسعد حالا يا ترى ... أفراشات على أضوائها
حرقتها النار في وثباتها ... وانتهت بالحرق من أرزائها
أم كريم عاش في آلامه ... صابر النفس على تعسائها ؟؟
لست أدري انما أدري بما ... يرفع النفس الى عليائها
الكفاح الحق في أسمى مدى ... واصطبار النفس في هيجائها

تأليف الأستاذ أنور الجندي

أضواء على الفكر العربي الاسلامي

عرض وتعليق الأستاذ أبو طالب زيان

جمع الرأي في هذا الكتاب ، أنه كفاية موجزة لقضايا حية . طال أمد مناقشتها أزمنة مختلفة ، دون أن يقال فيها الرأي الحاسم ، أو القول السديد .

والأستاذ أنور الجندي ، بهذا الكتاب القيّم ، قد رسم الطريق أمام قضايا شائكة ووضع النقاط على الحروف لمن يريد أن يفرّع هذه القضايا ، أو يجلو هذه الغوامض التي علقت بتراثنا ، ووقفت به عند نقاط معينة مفرضة !!!

تعرض الأستاذ أنور الجندي في مقدمة هذا الكتاب للحملة الرامية الى تزييف الحقائق ونكران فضل العرب على الحضارة الانسانية ، وان أرادت « أن تعترف بهذا الفضل ، ادّعت أن العرب كانوا نقلة أو مترجمين .. »

لقد كان الفكر العربي الاسلامي متصلا : « بالثقافات المختلفة من هندية وفارسية ويونانية اتصالا حرا ، لم يقيده نفوذ ، ولم يفرض عليه اختيار ، فاختار منه ما يناسب مقوماته الأساسية بعد أن اختبره وغربله وأضافه الى كيانه ، ثم خطا به خطوات واسعة وابتدع فيه فنونا جديدة » .

ولقد كان هدف الفكر العربي الاسلامي في جوهره : « تحرير الانسانية من الوثنيات ، وكان طابعه التقدم في مجال العلم مع سيادة الخلق والعدل ، وتكريم الانسان ، ورفع قدره ، دون أن تغلبه المادة ، بل يظل هو المسيطر عليها » .

لمس هذا الكاتب الموسوعي ، عدة قضايا ، وأثار كثيرا من التساؤلات ، وكان أحرى به أن يجيب عليها ، لولا ضيق المجال الذي رسم له..

تناول الأمة العربية الرائدة ، وهي تشق طريقها بقوة في المجال العالمي ، تحمل لواء التقدم وروح العصر ، وتساهم في الحضارة والصناعة والفكر ... وتناول الفكر الأوروبي الحديث ، وعيشه على أعمدة التراث الاغريقي والروماني ، وان كان لم يعترف بانفصال بين الفكر الحديث وبين قاعدته الأساسية ذات المقومات الواضحة ... وتناول اليقظة العربية وبين عدم انفصالها عن الفكر العربي الاسلامي الذي اتصل بكل الثقافات التي سبقته ، اتصال تأثير وتأثر واضافة وحذف وترجمة وابداع على السواء .

كذلك كان هذا الباحث منصفا في تناوله لكتّاب الغرب الذين كشفوا عن جوهر هذا الفكر وأثره في الحضارة الحديثة ودوره الممتد المطرد ، وحاجة الانسانية الى عناصره ومقوماته .

ولقد ألقى الأستاذ أنور الجندي نظرة خاطفة على هذه الثروة الطائلة التي يفخر بها العرب في كل مكان ، وتنهض دليلا على ما للعرب من عقل ومعرفة وثراء : « كانت دار الحكمة في أيام هارون الرشيد ، تحوي مليون كتاب . أما المأمون فقد نقل الى بغداد مائة حمل بعير من الكتب من أوروبا ، حتى انه جعل ذلك في عقد الصلح بينه وبين ملوك الامبراطورية الرومانية الشرقية .

وقد أشار ابن سينا الى مكتبة نوح ابن منصور ، سلطان بخاري ، وكانت تحوى حمل أربعمائة جمل . أما مكتبة الواقدي ، فكان فيها ستمائة صندوق تساوي مائة وعشرين حمل جمل . وضمت مكتبة دار الحكمة التي أنشأها الحاكم بأمر الله مليونا وستمائة ألف مجلد . وكانت مكتبة طرابلس الشام تحوي ثلاثة ملايين كتاب تحت عناية قضاة آل عمار الذين كان لهم في هذه الخزانة ، مائة ألف ناسخ ، تجرى عليهم الأرزاق سنويا .. وان كانت قد وقعت هذه الخزانة في أيدي الصليبيين عام ثلاثة بعد الخمسمائة من الهجرة ، فأحرقها الفرنجة وصارت رمادا . ولقد أحرق الفرنسيون كل ما وجدوه من مخطوطات ومطبوعات بمكتبات قسطنطينة عندما احتلوا الجزائر سنة ثلاثين وثمانمائة بعد الألف » .

وينتقل هذا العالم الموسوعي الى الأندلس فيذكر: انه كانت هناك سبعون مكتبة ، وكان في مكتبة غرناطة ، في عهد عبد الرحمن الثالث ، ستمائة ألف مجلد ، وكانت دواوين الشعر فيها تملأ ثمانمائة وثمانين صفحة من فهارسها .

وكذلك كان في كل جامع كبير مكتبة ، فضلا عن ولع الحكام والولاة باقتناء الكتب وجمعها من الديار والأمصار فقد كان الحكم صاحب الأندلس ، يبعث رجالا الى جميع بلاد المشرق ليشتروا له الكتب عند أول ظهورها ، حتى ان فهرس مكتبته كان يتألف من أربع وأربعين كراسة ، وقيل كان بخزانته أربعمائة ألف مجلد . وفي مصر ، كان للخليفة العزيز ، خزانة كتب كبيرة ، قال المقريزي : ان بها مليونا وستمائة ألف مجلد .

وهكذا يمضي الأستاذ أنور الجندي في تعداد هذه المناقب العربية ، فيذكر ولع العزيز بشراء الكتب ودفعه فيها الدنانير الكثيرة ، ويثبت قول المقريزي في هذه الخزانة ، ويحصي ما في مكتبة « الأسكوريال » من المجلدات المطبوعة والمخطوطة ، وما فعلته الحروب الصليبية بهذه الكتب ، وان كانت مكتبات العالم كلها تزخر بكتب كثيرة من الأمهات التي تحمل في طياتها وبين أوراقها فضل العرب وتقدمهم وريادتهم الموفقة في شتى المجالات . والذي يذكر للأستاذ أنور الجندي ، أنه رد الاتهامات التي وجهت الى العالم الاسلامي والأمة العربية . حيث يقول : « ان الفترة التي سيطر فيها الأتراك العثمانيون على العالم الاسلامي ، كانت فترة خمول

للفكر العربي الاسلامي بصفة عامة . اذ لم يكن للفكر العربي ملامح خاصة يتميز بها . فقد دخلت الأمة العربية في نطاق الامبراطورية العثمانية عام ١٥١٧ ، واستمرت حتى عام ١٩١٧ ، أي انها أمضت أربعمائة سنة في نطاق هذه الامبراطورية التي بدأت تهوي الى الضعف منذ عام ١٨٦٣ ، عندما أغار الأتراك على أسوار « فينا » وارتدوا عنها . وكانت هذه أول هزيمة لهم ، فتحت أعين الغرب على ضعف الامبراطورية ، مما دفعه الى مواصلة الحملات عليها ، وفتح عينيه على بدء معركة الانقضاض والغزو » .

ثم يعرض هذا الموسوعي القضية ويناقشها قائلا : « وهنا تبرز قضية فكرية مهمة ، طالما رددها كتاب الغرب ، وهي : أن حركة اليقظة الفكرية في العالم العربي ، قد بدأت بحملة نابليون على مصر سنة ١٧٩٨ أو بوصول الجمعيات التبشيرية الفرنسية عام ١٨٤٨ ، والأمريكية عام ١٨٦٨ الى بيروت ، واليها تنسب يقظة الفكر العربي .

ونحن نرى ومعنا كل الأدلة ، ان اليقظة الفكرية ، قد سبقت هذا الفكر الغربي بأمد طويل . وكانت يقظة الفكر العربي ، منصبة على تأكيد الحقائق الأساسية للفكر العربي الاسلامي وهو ما قامت عليه الحضارة العربية الاسلامية التي غزت بضيائها العالم كله ، واستمرت تؤثر فيه الى اليوم ، وهي في موجزها ، تتمثل في مبادىء محددة صريحة ... »

ولم يفت هذا الباحث الفاضل ، أن يثبت في هذا الكتاب ، المنهج العلمي العربي في البحث وتأسيسه على نحو تطبيقي لا نظري ، قوامه الاستقراء والقياس والتمثيل ، والمشاهدة والتجربة ، وجمع المشاهدات ، ونتائج التجربة وربطها وتبويبها وتمحيصها ، ووصل الحقائق على النحو الذي يجعلها قانونا طبيعيا أو نظرية علمية ، واستنباط النتائج المبنية عليها ، وبحث صحة تلك النتائج ومطابقتها للواقع . ولقد سجل الأستاذ الجندي بعضا من اكتشافات العرب وسبقهم في العلوم المختلفة ، كما أثبت بعض أعلام الفكر العربي الاسلامي ، والفنون التي برزوا فيها ، وشهادات حق على ما للفكر العربي من اصالة وسبق وريادة . ثم موازنة بين اللغة العربية واللغة اللاتينية ، واستشهادات لبعض المنصفين من غربيين ومستشرقين ، ثم موازنة بين الفكر العربي الاسلامي والفلسفة اليونانية ومدى تأثيرها وأهمية حفظها من الضياع .

وعقد الأستاذ المؤلف ، فصلا بين الموسيقى العربية والموسيقى الغربية ، بين فيه فضل الموسيقى العربية على الموسيقى الغربية باعترافات الباحثين من علماء الغرب والراغبين في ارجاع الفضل الى ذويه . ووقف الأستاذ الجندي طويلا ، أمام تأثر « دانتي » بالثقافة الاسلامية ، ولا سيما في قصته « الكوميديا الالهية » ، وآدم سميث في رأيه عن «قوانين الاجتماع » ، والوزير «ميكافيللي» في بحوثه وآرائه .

ومما يذكر لهذا الكاتب الموسوعي ، انه ناقش نظرية الجنس والدم مناقشة عنيفة ، ورد رأيين لكاتبين هما : سليمان البستاني في الألياذة ، وعباس محمود العقاد في دراسته لابن الرومي ، وأبان عن سر تفضيل الدم الآري على الدم السامي في دفاع الأستاذ اسماعيل مظهر في تناوله لبشار ابن برد ، وكشف القناع عن كاتبين غربيين هما : جوبينو ورينان اللذان قالا بوجود فوارق طبيعية بين الساميين والآريين ، لكن : « الرأي الآن هو أن البيئة الحضارية ، لا السلالة هي الأساس ، وان الوراثة العرقية أو وراثة الدم ، لا تؤثر في الاستعداد العام ، أو الذكاء الفطري ، وأن العبرة بالبيئة » .

ولست أجد ختاما لهذه الكلمة من أن أثبت هنا هذا التحذير الذي ختم به الأستاذ أنور الجندي كتابه ، وجعله في مكان يلفت النظر ، ويستوقف القارىء . وله العذر والحق في هذا التنبيه ، أو هذا التحذير ، فقد علا صوت موجة الانفصال عن الماضي والتنكر للقديم على كل صوت ، فكان حقا أن نطالع في خاتمة مطاف هذه الدراسة الممتعة الخصبة :

• ان دعوى الانفصال عن الماضي ، خدعة كبرى ، ترمي الى أن نتوه في الأمية .

فنحن لا نغتر بالماضي ، ولا نظن اننا أعظم من غيرنا ، ولا نحس بالقصور أمام الأمم . ونحن نستفيد من التاريخ ونناقشه ونكشف أخطاءنا ونستفيد منها ، ونشيد ببطولاته في الوقت نفسه ، ليفتح لنا الطريق .

• ليس الماضي هو صورتنا الآن ، والمثل الأعلى يتطور ، ولكن الأصول والأسس تظل ثابتة .

• ان قيمتنا ليست تاريخا متخفيا ، ولكنها لا تزال حية تتفاعل مع فكرنا وثقافاتنا ، وان لفكرنا « رسالة انسانية » عليا ، تحتاج اليها البشرية في أزمتها الحالية .

• نحن لا ننعزل عن ماضينا ، فمن لا ماضي له لا مستقبل له ...

طرائف

سؤال

سألت احدى الفتيات العالم اينشتين السؤال التالي : اذا كان (أ) يمتلك دجاجة ووضعت بيضة في مزرعة (ب) فلمن تكون البيضة ؟

فأجاب اينشتين : لمن يوكل محاميا أبرع !

غريب !

أوقف شرطي المرور سيارة يقودها شاب وسأله غاضبا :

— لم تسوق بهذه السرعة الهائلة ؟

فأجاب الشاب : عجبا ! مع أن هذه هي المرة الأولى التي أقود فيها سيارة .

راح يكحلها فعماها !

وقع بين الأعمش وزوجه وحشة ، فكلف أحد أصدقائه أن يصلح بينهما . فدخل هذا اليهاوقال :

— ان أبا محمد شيخ كبير فلا يزهدنك فيه عمش عينيه ، ودقة ساقيه ، وضعف ركبتيه ، وجمود كفيه . فقال الأعمش :

— قبحك الله فقد أريتها من عيوبي ما لم تكن تعرفه .

قول سوداني

يروى انه ذهب مرة حافظ ابراهيم وأمام العبد ليستحما في البحر . ولما خرج أمام العبد من البحر قال له حافظ :

— أهو أنت الآن .. سوداني مملح .

فال حسن !

أعلنت سيدة أجنبية عن نيتها في الزواج فذهب رجل لطلب يدها . ولما دخل البيت رأى ثلاث قبعات معلقة ، ولما سألها قالت :

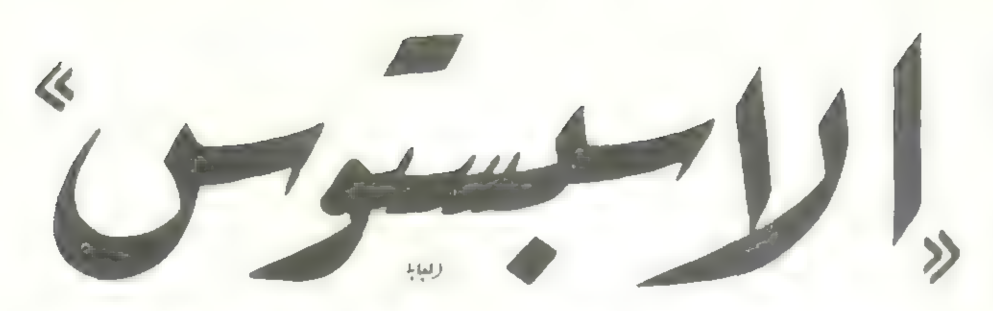
— هذه قبعة زوجي الذي مات غرقا ،وهذه قبعة زوجي الذي مات حرقا ، وهذه قبعة زوجي الذي مات قتلا ...

فناولها قبعته وهو خارج وقال :

— خذي هذه وقولي : وهذه قبعة زوجي الذي نفد بجلده .



يستخدم رجال مكافحة الحرائق في ارامكو احدى الوسائل الخاصة باخماد الحريق . ويبدو هنا لفيف من الموظفين العرب السعوديين اثناء قيامهم ببعض الاعمال التدريبية يتوسطهم زميل لهم مرتديا بذلة خاصة ، مصنوعة من الاسبستوس .



الـ«اسبستوس» ، او الحرير الصخري ، مصطلح فني عام يطلق على اي معدن يمكن تجزئته أو تفريده الى انسجة او ألياف قابلة للانثناء يصنع منهـا مواد مقاومة للاحتراق . واغلب الظن ، ان هذه التسمية مشتقة من الاسـم الاغريقي القديم (Asbestos) للحجر الاسطوري المشهور الذي لا ينطفيء ابدا اذا مـا لامس النيران .

من أبرز الصفات التي تستأثر بها المواد المصنوعة من «الاسبستوس» مقاومتها للاحتراق ، وسهولة ندفها أو غزلها . وتشير بعض المراجـع العلمية الى أن الاسبستوس كان معروفا منذ زمن بعيد ، اذ استعمله القدماء فيما مضى في صنع الأكفان الخاصة بالموتى من النبلاء والملوك . أما تاريخ بدء صناعة « الاسبستوس » الحديثة فيرجع الى عام ١٨٦٨ وذلك عندما قامت ايطاليا بانتاج ٢٠٠ طن من هـذه المادة الخام .

يوجد « الاسبستوس » على أنواع متعددة أبرزها نوع يـدعى « كرايسوتيل » (Chrysotile) أما الأنواع الأخرى فتنتمي الى مجموعة من المعادن تعرف باسم « الامفيبولات » (Amphiboles)

« فالاسبستوس » الذي يعـرف باسم « كرايسوتيل » يتمتع بسمعة تجارية تفتقر اليها الأنواع الأخرى . وهو يوجد عادة على شكل ألياف متقاطعة أو عمودية . وتتراوح أطوال هـذه الألياف بين $\frac{١}{١٦}$ و ١٢ بوصة . غير أن أكبر تجمعات لهذا النوع من الاسبستوس في العالم توجد في مقاطعة « كويبك » بكندا ، وجبال « أورال » ، في الاتحاد السوفييتي . وتتراوح نسبة الاسبستوس التي يمكن استخلاصها من التجمعات عادة بين ٥ و ١٠ في المائة ، وما تبقى فهو عبارة عن معادن أو صخور معدنية لا أهمية لها .

ان صفتي عدم قابلية الاحتراق ، وسهولة الغزل أو الانثناء ، اللتين يتحلى بهما هذا النوع من الاسبستوس لتجعلان منه مادة صناعية قيمة ذات مكانة تجارية مرموقة . فأفضل أنواع الاسبستوس وأجودها هو ذلك النوع الذي يحمل أليافا طويلة دقيقة متينة غير قابلة للانصهار أو ذات قابلية عالية نسبيا للمط أو التمدد . وألياف الاسبستوس هـذه تشبه الى حد ما الأسلاك الدقيقة المصقولة ، وهي خالية من التسنن أو الشرشرة التي قد تعوق عملية الغزل . فلو نظرنا الى واحدة من هـذه الألياف أو الأنسجة تحت مجهر حساس لوجدناها عبارة عن خيوط دقيقة متعددة متراصة متماسكة . فالألياف الطويلة يمكن ندفها وغزلها الى خيوط مبرومة اما لوحدهـا أو باضافة بعض المواد الأخرى اليهـا كالقطن مثلا أو أسلاك دقيقة من النحاس الأصفر أو الأحمر . وهـذه الخيوط أو الألياف المغزولة يجري نسجها فيما بعد الى مواد أو أقمشة مختلفة في الشكل والوزن والسمك وذلك وفق متطلبات الصناعـة وحاجاتها المتعددة .

من بين مجالات الاستعمال الرئيسية التي تدخل فيها منسوجات «الاسبستوس»

أو الحرير الصخري ، صناعة ستائر المسارح ، وبذلات رجال مكافحة الحرائق ، وأغطية الجدران المقاومة للحريق ، وأغلفة أنابيب المراجل ، والأقمشة الخاصة بتغليف الفرامل ، وعازلات الحرارة ، وأغلفة أنابيب الماء والبخار والمضخات . كما تدخل منسوجات الاسبستوس أيضا في صنع الحبال والخيوط الى غير ذلك من المنتجات المتعددة الخاصة بعزل الموصلات الكهربائية .

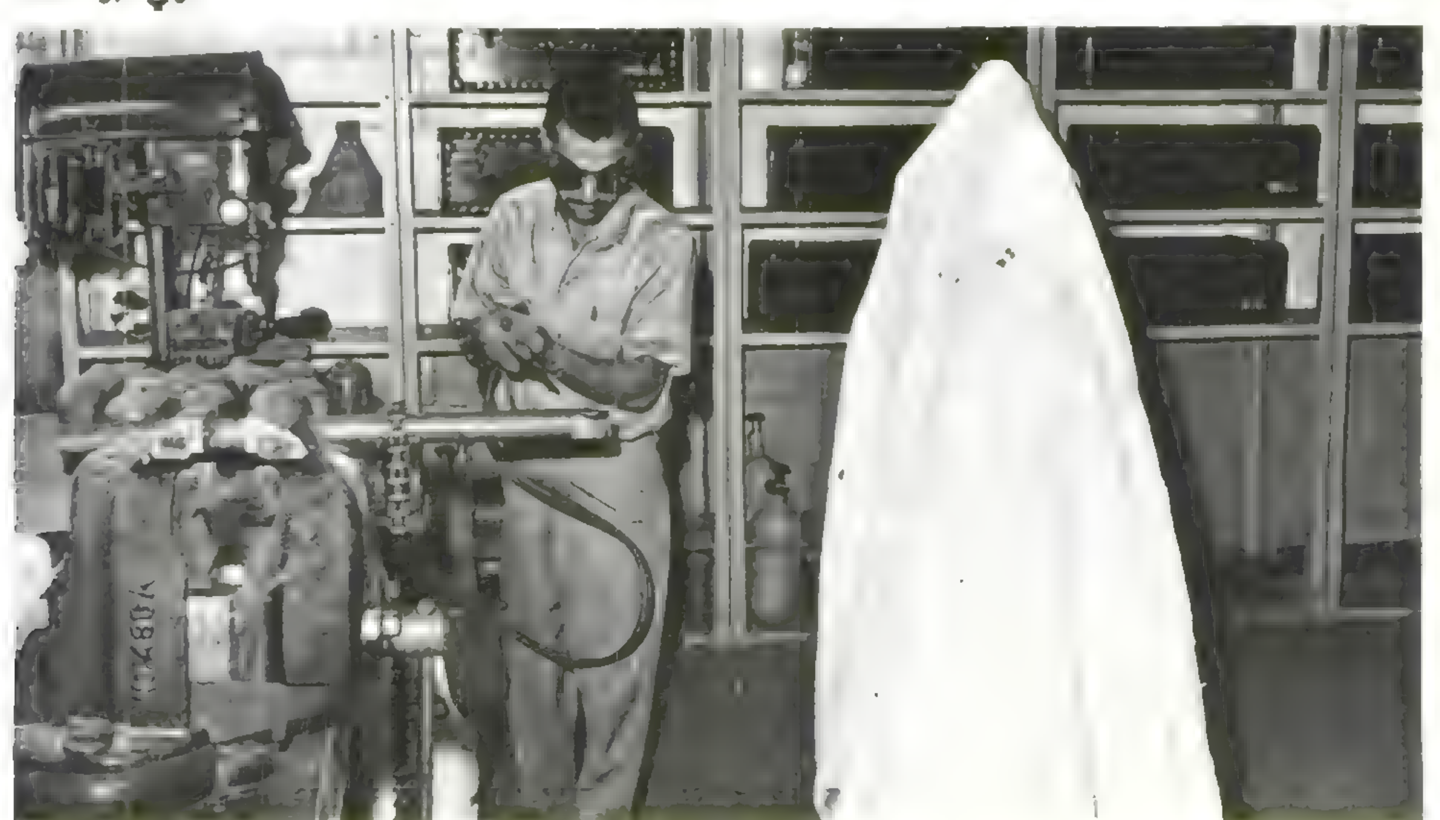
هذا وتوجد ثمة أنواع معينة من ألياف الاسبستوس القصيرة تمزج بالاسمنت ثم تصب في قوالب مختلفة . أو تضغط لتخرج على أشكال متنوعة كالورق المقوى (كرتون) ، والألواح الخشبية الصغيرة الخاصة بتغطية الأسقف ، والبلاط . كما تدخل هذه الألياف القصيرة كعنصر أساسي في صنع مختلف أنواع الدهان والأصباغ ، وغيرها .

أما بالنسبة لمعدل استهلاك الاسبستوس في العالم فتشير بعض المصادر الى أنه ازداد ازديادا مطردا خلال الفترة الواقعة بين الثلاثينيات والخمسينيات من القرن الحالي . ففي عام ١٩٣٠ مثلا بلغ استهلاك العالم لمنتجات الاسبستوس ٣٣٨ ٧٨٣ طنا ، بينما ارتفع في عام ١٩٥٠ الى نحو ١,٢٠٠,٠٠٠ طن . والجدير بالذكر انه حوالي ٩٥ في المائة من انتاج العالم من الاسبستوس هو من نوع « كرايسوتيل » الآنف الذكر .

أما البلدان المصنعة لمنتجات الاسبستوس ، فهي الولايات المتحدة الأمريكية ، والمملكة المتحدة ، والاتحاد السوفييتي ، وفرنسا ، وايطاليا ، والنمسا ، والمانيا الاتحادية ، وكندا ، واسبانيا ، وبلجيكا ، واستراليا . وتعتبر الولايات المتحدة أكبر بلد مستخدم للاسبستوس اذ يقدر اجمالي استهلاكها منه بنحو ثلثي انتاج العالم كله ، هذا مع العلم بأن ما يربو على ٩٥ في المائة من مجموع هذا الاستهلاك مستورد من الخارج .

وقد جاء في احدى النشرات العلمية الأمريكية مؤخرا أن معملا ضخما لصناعة الاسبستوس يجري انشاؤه حاليا في بقعة نائية تقع على بعد ٤٨٠ كيلومترا جنوبي منطقة القطب الشمالي ، وحوالي ١٨٠٠ كيلومتر شمالي مدينة « مونتريال » في كندا . وتحتوي هذه البقعة المهجورة الواقعة أيضا في أقصى الشمال من مدينة « كويبك » الكندية ، على تجمعات هائلة من الاسبستوس الخام ، تقدر بنحو ٢٠ مليون طن . ومن المنتظر أن يباشر هذا المعمل الضخم عمله في مطلع عام ١٩٧٠ وذلك بانتاج ما معدله ١٠٠٠٠٠ طن من ألياف الاسبستوس سنويا لتوزيعها على الأسواق العالمية وفق حاجاتها ومتطلباتها الصناعية .

عوني أبو كشك



من وسائل السلامة المتبعة لدى ارامكو استعمال هذه البطانية (الى اليمين) المصنوعة من الاسبستوس ، وهي تستخدم بمثابة حاجز واق يحجز الشرر المتطاير عن اللحام بغية منع نشوب الحرائق . « تصوير سعيد الغامدي »

منهج البحث في الأدب العربي المعاصر

بقلم الدكتور زكي المحاسني

حملت غزوة نابليون لمصر أواخر القرن الثامن عشر الحضارة الغربية ، وعن طريق مصر عبرت هذه الحضارة الى الشرق . وكان لانشاء حملة نابليون جريدة بالفرنسية ، والى جانبها جريدة بالعربية تردفهما مطبعتان كاملتان ، أثر بعيد في انعاش الفكر في المشرق العربي ، واعطائه قبسا غربيا . وقد أنشأ ذلك الفاتح على أرض الحضارة الفرعونية المجمع العلمي المصري الذي تقلّب في الدهر وما زال حتى اليوم متخذا اسم « دار الآثار الشرقية » . وقد كان يديره صديقي المستشرق « شارل كوانتز » . وكانت الحركة التي قام بها محمد علي باشا الكبير في ارساله البعوث الى أوروبا ذات أثر آخر ألصق بالفكر العربي والاسلامي وبالثقافة العربية التي أخذت تشع أشعتها منذ أواسط القرن التاسع عشر عندما عادت تلك البعوث ، وأحدثت حركة جديدة في التأليف والفكر . فكان لا بد للأدب العربي من أن يقبس من هذه الأقباس حتى أشرقت شمس الأدب الذي أخذ ينفلت من القديم ليترامى على الحديث . وكان علماء الأدب في مؤخرة القرن الماضي يتدارسونه على طريقة المشيخة في أفنية الأزهر . ولعل الشيخ « حمزة فتح الله » قد حاول أن يدرّس الأدب العربي ، فألّف لطلابه كتابه (المواهب الفتحية) ، الذي كان له أثر يذكر في تنمية الفكر يومذاك . كما ألّف الشيخ (حسين المرصفي) كتابه « الوسيلة الأدبية » الذي كان له أثر بعيد في تأديب المعاصرين الأوائل . ولم يعد المؤلفان في هذا التأليف المناهج القديمة في دراسة النصوص من وجهة الشرح ، وغرابة اللفظ ، والاعراب العويص . وكان هذان الاستاذان يوصيان بحفظ الأمثال ومقامات الحريري ليكون المرء المتأدب جامعا واعيا للكلمات القديمة في تعابيرها العسرة . وحاول الشيخ (الشقيطي) ان يجول جولات في الدراسة الأدبية فحالت اللغة والاعراب بينه وبين الفن الأدبي الذي كان يرمي اليه . لكن نور المنهج الأدبي قد طلع من أفق شيخ مغمور هو (حسن توفيق) وكان من أدباء الطليعة الأولى ، وقد سلخ هذا الشيخ ردحة من عمره في المانيا فتلقف من جامعة فيها المناهج الأدبية . ولما عاد الى مصر عهد اليه بتدريس الآداب في مدرسة دار العلوم ، على الطريقة الغربية المعروفة في الدراسات الأوروبية والتي تعنى بدراسة المؤلف وشخصيته وأعراقه وبيئته ، لتستطيع أن تطبّق أحكام النقد عليه . كما كانت هذه الطريقة تجعل للنص الأدبي أثرا ذا صلة مكينة بصاحبه . وقد كتب تراجم الأدباء والشعراء القدامى وأخذ ينقدهم . وهو أول من رتب العصور الأدبية في تقسيمها الحديث في فاتحة عصرنا ، فأضحى أماما لمن ألّف الأدب العربي من بعده على المنهج الغربي المعاصر . وقد أحست وزارة المعارف والجامعة المصرية القديمة بضرورة نهضة أدبية في دراسة الأدب العربي ، فشوّقت المؤلفين الى وضع كتاب في تاريخ الأدب العربي يكون منهجيًا ، ورصدت يومئذ مئة جنيه للفائز . فبرز في أفق التأليف علامة التاريخ الأدبي المعاصر جرجي زيدان بمقالات في الهلال الذي كان يصدره ، ثم أخذ بتأليف كتابه الكبير تاريخ الآداب العربية ، حتى جاء في طبعته الجديدة في أربع مجلدات أشرف عليها الدكتور شوقي ضيف .

ولا نستطيع أن نتجاوز الكلام قبل أن نقرر بأن الأستاذ الكبير مصطفى صادق الرافعي ألف يومئذ كتابه في أدب العرب في ثلاثة مجلدات ضخام على منهج آخر غير الذي أتبعه زيدان مع عناية فائقة بالتاريخ الاسلامي والمآثر العربية . غير أن هذه التي ما زالت تعيش الى يومنا هذا مراجع دراسية ، لم تكن مجدية كل الجدوى في المنهجية الأدبية المنشودة . لأن تاريخ الأدب كما صنع هؤلاء وسواهم ، قد ربط الأدب بعجلة السياسة . فالعصر الأموي عندهم هو الذي يبدأ بقيام الدولة الأموية وحكم معاوية ابن أبي سفيان ، وينتهي بانحدار مروان بن محمد سنة اثنتين وثلاثين ومئة . والعصر العباسي قد استخدم تاريخ الأدب فسمي الأدب العباسي بقيام حكم بني العباس ، وبانتهائه في سقوط بغداد على أيدي التتار في أواسط القرن السابع للهجرة . وفي هذا جميعه ضلال مبين ، واضاعة للفكر الأدبي . فالفكر الأدبي ينبغي أن يعيش حرًا بعيدا عن أن يتقيد بالعصر السياسي . وأنا أذهب الى وجوب منهجية جديدة في كتابة تاريخ الأدب العربي ، اذ ينبغي أن يقوم هذا التاريخ على روح الأفكار وتطورها وحياتها ودوامها . ففن الهجاء مثلا تبدأ حياته من الجاهلية ثم يسري بالحركات الشعرية أيام الخلفاء الراشدين ثم ينحدر الى العصر الأموي فيتلقاه شعراؤه الفحول جرير والفرزدق والأخطل ومن شايع كل واحد منهم في حرب الكلام والنقائض ،

حتى اذا جاء الشعراء الهجاؤون المتهكمون أمثال بشار ، أخذ فنّ الهجاء يشعر بالتطور ، حتى تنام عصور الأدب ويستيقظ عصرنا الحديث ، فاذا فن الهجاء لا أثر له في فنون الأدب المعاصر . وهكذا فاننا نتتبع مسير الأفكار الأدبية خلال فنونها ، وخلال العصور ، دون أن نربط الأدب بالحركات السياسية ، وان كانت هذه الحركات قد تميته وقد تحييه . وان الدكتور طه حسين وان لم يقل بهذا الرأي ، فانه قد بعث المنهجية الأدبية على الطريقة الأوروبية في الأدب العربي الحديث ، منذ أعقاب الحرب العالمية الأولى ، يوم كان يلقي دروسه في جامعة مصر ويبني الأدب الحديث على دراسة منهجيّة ثائرة ، حيث استطاع أن يخرج دراسة الأدب العربي من حلقات الأزهر الى المقاعد الرتيبة الأنيقة التي رصف بعضها خلف بعض تحت قبة الجامعة . وطه حسين نفسه ، هل كان يستطيع أن يتصدّى لأدبنا العربي العظيم الذي ملأ الدنيا بآثاره وفنونه وأدهش أئمة المستشرقين بعبقريته القرآنية واللغوية ، لو لم يكن قد ورد مناهل السربون على ضفاف السين ؟ فلما وضع كتابه (في الشعر الجاهلي) سنة ١٩٢٥ ، أحدث ضجة كبرى أبعد من الضجة التي سمعها أبو العلاء في اللاذقية ، فانه أثار شيوخ الأدب القديم وأقامهم وأقعدهم . انه أنكر وجود الشعر الجاهلي وامرأ القيس نفسه ، ومن يدري ولعله الآن في شيخوخته يضحك من ذلك الأمر الكبير الذي شغل به العصر وكسب به شهرة لا تنسى ، لأنه في تاريخه الفكري الاخير يقول بوجود أدب كلاسيكي عربي ، ويقصد بهذا الأدب الشعر الجاهلي . وقد أراد يومئذ الكاتب المازح ابراهيم عبد القادر المازني أن يعبث بفكرة طه حسين ، فزعم أن طه حسين نفسه غير موجود ، وهو أسطورة من الأساطير ، لأن الناس كانت تعرف طه حسين بعمامة وجبة أزهرية ، واذا هو يغدو الى الغرب وعلى رأسه القبّعة ثم يعود الى مصر وليس على رأسه شيء وقد دخل جسمه في حلّة أوروبية واقترن بامرأة فرنسية ، كل هذه المتناقضات قدمها المازني كدليل على نكران وجود طه حسين .

ولسنا الآن بسبيل هذا المزاح الأدبي ، الذي انقلب في أواخر عهد المازني الى حسد شديد صبه على طه حسين . وقد اتّهمه طه حسين بأنه يحسده لضآلة شأنه ولقعوده عن اللحاق به .

ولسنا ننكر أن المنهجية الأدبية المعاصرة في تاريخ الفكر العربي الحديث مدينة أيضا لأساتذة من المستشرقين ، وردوا جامعة مصر مثل نيلّينو ومؤلفين غربيين مثل كليمان واروكرادفو وبروكلمان وسواهم ممن نظروا الى الأدب العربي في جملته نظرة منهجية وصنّفوه الى شراذم ومدارس .

وكانت منهجية الأدب العربي الحديث سببا في اثارة معارك أدبية تكاد تكون دامية من غير دماء ، جامحة من غير قتيل أو جريح . وكان زعماء الفكر العربي الحديث كاسماعيل مظهر ، وطه حسين ، والعقاد والدكتور زكي مبارك ، والدكتور أبو شادي ومدرسة أبولّو والى ما يقابلها ، كان هؤلاء من أهل الغيرة على القديم في تراثه الذي كانوا لا يريدون أن يريموا عنه . ولم تكن هذه الحرب مأيمة ، وانما كانت حربا منعشة كأنها بلّ المطر للأرض اليبسة ، فأنعشت أدبنا العربي الحديث ، وأعطته روحا وريحانا .

وكان لبروز مقدمة الألياذة التي وضعها البستاني الكبير أثر بعيد في تفتح الأدب الحديث على آماد جديدة . ان عبقرية البستاني الذي ترجم شعر هوميروس الى العربية برمته ، وكان حدثا عجابا في الآثار الفكرية المعاصرة ، تتجلى في تلك المقدمة التي فتحت نافذة على النقد المنهجي وعلى الروائع الفكرية في المنثور والمنظوم عند العرب ، مع الحفاظ على التراث القديم في ديباجته وأدائه وحرية تعبيره ، وهو الذي كان من الداعين في الفكر العربي الحديث الى ضرورة تمازج الثقافات بعضها من بعض .

انني بالدعوة الى منهجية أدبية حديثة لأدبنا العربي وتاريخه ، لا أبعد القول في التحدي ولا أتجاوز الممكن في المنطق . فان أدبنا القديم كان يمشي على منهجية عقلية علمية جاحظية بسطت سلطانها على الفكر العربي خلال القرون القديمة ، وكانت هذه المنهجية تقوم على اداء سليم وفكر نيّر . فقد أخذت أعجب ، وقد أتبسّم ضاحكا من دعوة راح يدعو اليها بعض المريدين لتغيير الوضع الأدبي في الفكر العربي الحديث ، وما مرادهم الا الهدم دون البناء . ولن يستطيع أي ضار أن ينزل الحيف بتراثنا الأدبي الكبير مهما يغل في التجديد أو يدع اليه حقيقة أو زعما لأن التجديد يبقى ومعاول الهدم تفنى .

اجوبة حاول ان تجيب

— ١ —

أ — ٦٣٨١١٢١٧ برميلا .
ب — ١٧٠٥٢٢٤٢ برميلا .
ج — ٥٠٦١٩٨٩ برميلا .

— ٢ —

أ — نيقولاوس روبرت (فرنسي)
ب — تشارلز جوديير (أمريكي)
ج — أدوين دريك (أمريكي)

— ٣ —

أ — ١٩٥٧م .
ب — ١٩٠٩م .
ج — ١٩٢٤ .

— ٤ —

أ — الفيسل .
ب — الحمامة .
ج — أنثى الأرنب .








الحركة الأدبية في العالم العربي

* صدر للعلامة الكبير الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي رئيس المجمع العلمي العربي كتاب «الشذرات» مشتملا على مباحث في اللغة والعلوم وآداب العربية هي حصيلة جهد ودأب واطلاع أوفى على نصف قرن.

* «رسالة التوحيد» للأستاذ الشيخ محمد عبده ظهرت في طبعة جديدة حققها على نصها الأصلي الكامل الأستاذ محمود أبو رية وزاد عليها مقدمة مسهبة وهوامش للاستدراك أو الشرح.

* ظهر الجزء السابع من «تاريخ الطبري» بتحقيق العلامة الأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم، فجمع بين الحسنيين، حسن الاخراج وحسن التحقيق والمراجعة والمقابلة والشرح.

* «خالدون في الوطن» عنوان كتاب ممتع أصدره الأديب الكبير الاستاذ ابراهيم المصري منتزعا فيه من بطون التاريخ صفحات بيضاء لرجال ونساء أسهموا في تنمية الفنون والآداب، وغرسوا جذور الفضيلة في النفوس فبقيت آثارهم شهيدة عليهم. وقد ازدان الكتاب بطائفة من اللوحات الفنية الشهيرة المحفوظة في متاحف العالم.

* صدر للأستاذ عيسى الناعوري كتاب جديد في الأدب المقارن عنوانه «أدباء من الشرق والغرب» اشتمل على دراسة مقارنة بين أدباء من العرب وأدباء من الشرق، لمعرفة مدى التطابق والتشابه بين الاثنين. فالشابي قورن بوليم ورد سورث وجون كيتس، وجبران قوبل بفردريك نيتشه، وعلي محمود طه بالرومانسيين والغربيين، وفؤاد سليمان برو برت فروست، وتوفيق الحكيم ببرنارد شو، ونجيب محفوظ بفاسكو براتوليني وهلم جرا.

* «أسس التربية في الوطن العربي» عنوان كتاب كبير في ألف صفحة يشتمل على البحوث والدراسات التي قدمت في حلقة التربية تناولت أسس التربية من النواحي النفسية والاجتماعية والعلمية والتربوية وغيرها، وشارك فيها علماء أجلاء من العالم العربي مثل الدكاترة فؤاد صروف ومحمد كامل النحاس وكامل عياد وأبو الفتوح رضوان ويحيى الخشاب ومحمد مهدي علام وجميل صليبا، والأساتذة أحمد العمران ورامز فاخرة ومحمد عبد الله العربي وغيرهم.

* من الدراسات التي تبحث في الشعر المعاصر صدرت أخيرا، «الطبيعة في شعر المهجر» للأستاذ أنس داود و «مع الشعراء المعاصرين» للأستاذ عبدالحي دياب و «الشعر العربي القومي» للسيدة سميرة زكي أبو غزالة.

* «العراق في الشعر العربي والمهجري» كتاب في نحو ٥٠٠ صفحة صدر للأديب العراقي الدكتور محسن جمال الدين، استقصى فيه ملامح العراق كما تراءت في الشعر المعاصر.

* معجم «لسان العرب» لابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم أعيد طبعه نقلا عن طبعة بولاق الشهيرة فوقع في عشرين جزءا. وهناك جزءان للاستدراكات والتصويبات والفهارس يعدان الآن لتكملة هذا المعجم النفيس.

* في الأدب الروائي ظهرت الكتب الآتية «ألف مبروك» مجموعة أقاصيص للسيدة صوفي عبد الله و «طريق المجد» لجيمس هيلتن وترجمة الأستاذ حسين القباني و «أرو سميث» تأليف سنكلير لويس وترجمة الأستاذ محمود عزت موسى و «أنت قاس» مجموعة أقاصيص للسيدة جاذبية صدقي. كما ظهر بحث للأستاذ محمد عبد الرحيم عنبر عنوانه «المسرحية بين النظرية والتطبيق» فيه تعريف بالمسرحية وأنواعها ومذاهب كتابها. وظهر كتاب عن «الديكور المسرحي» للأستاذ لويس مليكة.

* من كتب التراجم التي ظهرت أخيرا طبعة جديدة من كتاب «سلامة موسى وأزمة الضمير العربي» للأستاذ غالي شكري و «رفاعة الطهطاوي» للدكتور حسين فوزي النجار و «محمد تيمور: حياته وأدبه» للأستاذ عباس خضر (ومحمد تيمور هو شقيق الكاتب الكبير محمود تيمور).

* صدر للأديب الصيدلي الدكتور جورج وهبة العفي كتاب عنوانه «الصيدلة علم وفن وانسانية» فيه تعريف بصناعة الصيدلة.

* ظهرت طبعة جديدة من «مقدمة ابن خلدون» حققها الدكتور علي عبد الواحد وافي وجاءت في أربعة أجزاء تزيد صفحاتها على ١٥٠٠.

* كتابان من دنيا القانون صدرا أخيرا هما «ذكريات من عالم المحاماة» للأستاذ تادرس ميخائيل تادرس و «من قضايا الناس» للأستاذ أنور حجازي.

* من كتب التربية التي خرجت في الاوان الأخير «التربية عند العرب» للأستاذ فوزي المنتيل و «المبادىء الاخلاقية في التربية» لجون ديوي ترجمة الأستاذ عبد الفتاح السيد هلال ومراجعة الدكتور أحمد فؤاد الاهواني و «الأخلاق والمجتمع» للدكتور زكريا ابراهيم.

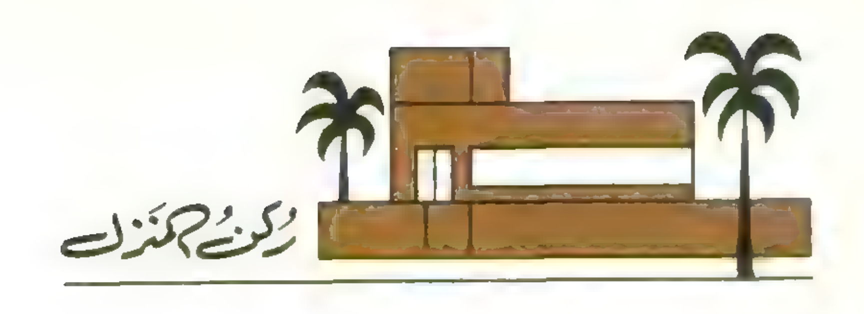
* من المصنفات الفلسفية التي طبعت أخيرا كتاب «فلسفة الفن في الفكر المعاصر» للدكتور زكريا ابراهيم و «الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة» للأستاذ عبد الفتاح الديدي و «المعرفة والتساؤل» تأليف فكتور فايسكوف وترجمة الدكتور سيد رمضان هدارة.

* ترجم الأستاذ سليم الأسيوطي كتاب «رحلة الحياة» من تأليف أ. م. فورستر وراجعه الأستاذ مصطفى حبيب.



كتب مهداة

حمل الينا بريد القافلة مؤخرا مؤلفين حديثين هما «آباء الصناعة» تأليف لينارد فانشج، وترجمة الدكتور محمد مصطفى الملايلي، و «قادة الفتح الاسلامي» تأليف الأديب العراقي اللواء الركن محمود شيت خطاب، عضو المجمع العلمي العراقي. والقافلة اذ تشكر المؤلفين على هديتيهما القيمتين، تتمنى للكتابين اقبالا ورواجا مطردين بين القراء الكرام.



التبوّل اللاإراديّ عندَ الأطفال

بقلم : السيدة هرية لطفي

التبوّل اللاارادي حالة شائعة عند الأطفال ولكن علاجها ليس بالأمر اليسير . وقد يحدث التبول ليلا فقط ، أو يحدث ليلا ونهارا ، وهذا أقل حدوثا .

أسبابه

للتبول اللاارادي أسباب عضوية وأسباب نفسية.. فالأسباب العضوية تنتج عن عناصر متعددة تمنع الطفل من أن يتحكم في التبول ، كنقص خَلْقي أو التهابات في الجهاز البولي أو زيادة كمية البول لأي سبب مثل ضعف الكلس أو مرض السكر أو ضعف مزمن بالكلس أو نقص في القوى العقلية أو مرض عصبي .

أما الأسباب النفسية فكثيرة ويمكن تقسيمها الى ثلاث فئات :

١ — الأطفال الذين يعانون من خلل في عملية انتظام التبول منذ الميلاد . ويلاحظ ان بعض هؤلاء الأطفال ينامون نوما عميقا .

٢ — الأطفال الذين استطاعوا التحكم في التبول ، ولكنهم يتقهقرون الى عادات الطفولة المبكرة لأسباب نفسية أو لظروف تؤدي الى اضطرابات مثل ميلاد طفل جديد في الأسرة أو الاصابة بأزمة سعال ديكي وهلم جرا .

٣ — الأطفال الذين يبولون نهارا دون الليل وهذه حالات نادرة وترتبط عادة باضطرابات نفسية جسيمة أو عضوية أحيانا .

ويلاحظ عادة أن أكثر الأطفال الذين يعانون من التبول اللاارادي لأسباب نفسية يتحسنون كلما تقدموا في السن ، مع العلاج أو بدونه ، وفي حالات قليلة قد تستمر الحالة لمرحلة البلوغ .

ولقد حاول الأطباء ثلاث طرق رئيسية للعلاج هي أولا المنع عن طريق ايقاظ الطفل للتبول عدة مرات ليلا ، والاقلال من السوائل التي يسمح له بتناولها مساء ، واستعمال آلة للتنبيه لايقاظ الطفل بمجرد ابتلاله ، وتنظيم عمل المثانة بتدريب الطفل على حبس البول فترات تزداد في طولها تدريجيا أثناء النهار وبذا تعتاد المثانة على الاحتفاظ بكميات كبيرة من البول .

والطريقة الثانية اعطاء عقاقير لتخدير الأعصاب التي تنبه المثانة للتحكم فيها أو للتخفيف من عمق نوم الطفل ، وهذا طبعا بمشورة الطبيب .

أما الطريقة الثالثة فهي العلاج النفسي ويتلخص في حث الوالدين على تشجيع الطفل بدلا من عقابه لأن المبالغة في اظهار الغضب من الطفل لابتلاله تؤدي الى وجود حالة توتر وقلق عند الطفل وبالتالي الى استمرار حالة التبول . ولتخفيف أثر هذه الحالة بالنسبة للطفل يجب اقناعه بأن هذه الحالة ليست بحالة شاذة ، وان كثيرين غيره عندهم الحالة نفسها ، وانه سرعان ما يتغلب عليها .

والعلاج الأوفق هو محاولة الربط بين أنواع العلاج السابقة .

تعلمي كيف تعيشين مع متاعبك

لا تهربي من مشكلات حياتك ، ولا تنزعجي من المرض ، ولا تيأسي من المستقبل ، انك بذلك تستطيعين أن تواجهي كل هذه المشكلات وتنجحي في مختلف أعمالك .

ان الكثيرين يجاهدون حتى لا يجدوا أنفسهم وجها لوجه أمام مشكلاتهم . ولكنهم يعترفون بعد مرور الوقت بأنهم ما كانوا يستطيعون ادراك شيء مما أدركوه لولا الخوف الذي دفعهم الى العمل بقوة وعزم . ان شخصيتنا تنمو مع الكفاح . معنى الأخلاق ، والمخاوف هي التي علمت الانسان كيف يكون شجاعا ، والانسان لن يكون انسانا الا اذا دفع الثمن وهو الخوف والقلق . ولكن اذا كان القلق مفيدا ، فكثيرا ما يكون هاوية نقع فيها . وليس هناك انسان يستطيع أن يتخلص تماما من الشعور بالقلق . ولكننا نستطيع مع الاعتراف به ، أن نكتسب نوعا من الحكمة تخفف عنا العبء الثقيل .

والنصيحة الأولى التي يجب أن تتبعيها هي ألا تضيفي الى متاعبك الحقيقية متاعب وهمية . فكلنا يعرف كيف تسيطر علينا أوهام تافهة تمنعنا من التفكير السليم . وكثيرا ما تكون مجموعة هذه المخاوف والشكوك الوهمية هي التي تحول بيننا وبين العمل ، لا المشكلة الأساسية التي تواجهنا . ولو دربنا أنفسنا على مواجهة المشكلات بدلا من الهرب منها لوجدنا اننا نستطيع أن نحقق أشياء كثيرة بحكمة واتزان . كما ينبغي ألا نتوقع أن نحيا حياة خالية من المتاعب والمخاوف ، بل علينا أن نواجه مشكلاتنا في شجاعة وحكمة وهدوء .

على المائدة

١ — اذا دعي أمرؤ الى وليمة من الولائم فليحاول الا يتأخر عن الموعد المحدد .

٢ — لا تجلسي بعيدا عن المائدة ، ولا تقدمي أحدا لأحد أثناء الطعام .

٣ — الحساء لا يؤخذ من مقدمة الملعقة ولا مؤخرها ، ولكن من جانبها .

٤ — لا تنحني فوق صحنك ، واعتدلي في جلستك ، وابقي منتصبة .

٥ — لا تُحمل الملعقة أو الشوكة أكثر مما في طاقتها .

٦ — الاسراع في الأكل غير مستحب وكذلك نقل الملعقة من صحن الى آخر .

٧ — الحديث عن أمراض التخمة وعسر الهضم أثناء الطعام خارج عن آداب المائدة .

٨ — لا يستحسن تقليب الفاكهة لانتقاء الأفضل .

٩ — دع مقبض الشوكة أو الملعقة أو السكين داخل قبضة يدك .

جمالك بين يديك

حذار من العصبية والقلق

كثيرا ما يكون الاضطراب النفسي باعثا من بواعث مظاهر الشيخوخة المبكرة على وجوه السيدات العصبيات ، دون المرحات المستبشرات . فغالبا ما نرى على وجوه بعض السيدات اللواتي يجلبن لأنفسهن المتاعب والهموم ، النظرات الخابية ، والجباه المغضنة ، والبقع البنية وغيرها ، وذلك نتيجة صدمات عصبية واضطرابات عاطفية أو نفسية . فلكي تصوني جمالك ، سيدتي ، حاولي أن تتجنبي الاضطرابات العصبية ، وألا تدعي القلق أو الغم يتسرب الى اعماقك . اضبطي نفسك ولا تثوري لأتفه الأسباب ، فتندمي .. يوم لا ينفع الندم .

اذن ، تذكري أن العصبية والقلق من أكبر أعداء الجمال ، فانظري دائما الى الحياة نظرة تفاؤل واستبشار واطردي عنك متاعب الهموم والأحزان .



كعكة جوز الهند

المقادير :

اصبع من الزبدة
كوب من السكر الناعم
بيضتان
ثلاثة أرباع كوب من جوز الهند المبشور
ثلاثة أرباع كوب من الطحين
كوب من الحليب
ملعقة صغيرة (بيكنج باودر)

الطريقة :

أخفقي الزبدة والسكر جيدا ، ثم أضيفي اليهما البيض . استمري في الخفق الى أن يتماسك المخلوط . وبعد ذلك ضعي الطحين ثم أضيفي اليه الحليب (والبيكنج باودر) وجوز الهند مع مراعاة الخفق جيدا .

ضعي ورقة في وسط الصينية وادهنيها بالسمن ، ثم اسكبي الخليط فيها وضعيها في الفرن على درجة حرارة مقدارها ٣٥٠ فرنهايت مدة ٤٥ دقيقة . وبعد ذلك تقطع الكعكة قطعا متساوية وتقدم مع الشاي .

الصفحة الضاحكة

تنوعت الأسباب والموت واحد

حكم على أحد المجرمين بالاعدام وقبل اعدامه سأله القاضي قائلا :

— انني أترك لك حرية اختيار طريقة الموت .

المجرم : أود الموت بسبب الشيخوخة .

أشعة «جيب»

المريض : ماذا وجدت في الأشعة يا دكتور ؟

الدكتور : وجدنا معك حصوة .

المريض : أيـــن ؟

الدكتور : في جيبك .

«مفيش مخ»

ذهب زبون الى الجزار وقال له :

— كيف تعطي خادمي قطعة كلها عظم وشحم ، ألا يوجد « عندك مخ » ؟

الجزار : مع الأسف لقد خلص قبل نصف ساعة .

وعد شرف

الكاتب الناشيء : هل قرأت قصتي الأخيرة التي قدمتها لك بالأمس ؟

رئيس التحرير : كلا . ولكن اذا وعدتني انها الأخيرة حقا فسأقرأها .



البيت السعيد !؟

الأول : أستغرب كيف تبدو سعيدا ؟

الثاني : لا عجب في ذلك ، فانني عندما أغادر عملي لا أحمل مشاكله الى البيت .

الأول : وأنا كذلك .

الثاني : ولِمَ لا تكون سعيدا ؟

الأول : لأنني أجدها بانتظاري في البيت .

المسألة بسيطة

قال تلميذ لآخر : ما معنى المثل القائل « في الصيف ضيعت اللبن »

الثاني : المسألة بسيطة يعني أنه يتبخر في الصيف .

بُعْد نظر

المرأة : لا أستطيع رؤية زوجي يا دكتور .

طبيب العيون : عجبا مع أن نظرك سليم . فمنذ متى حدث هذا ؟

المرأة : منذ أن سافر زوجي الى أوروبا .



لكل سؤال جواب

لقي أحدهم نحويا فأراد أن يسأل عن أخيه وخاف أن يلحن .

فقال : هل أخاك ، أخوك ، أخيك موجود ؟

فأجاب النحوي : لا ، لو ، لي .




قبل الزواج
وبعده
١
٢
٣
٤
٥



التمورُ مِنْ اهمّ حاصلاتِ المنطقةِ الشرقيةِ في المملكةِ العربيةِ السّعوديّة